الملخص:
يهدف هذا البحث إلى الوقوف على بعض أسرار التناسب بين الفاصلة القرآنية وآيتها ، مخصصًا النظر في فاصلة محددة ، هي فاصلة نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل .
وقد جاء في مقدمة توضح أهمية الموضوع الدافعة إلى اختياره ، والمنهج المتبع ، والخطة التي يسير عليها ، ثم التمهيد بعنوان ضبط مفهوم العنوان ، واشتمل على ضبط مفهوم التناسب ، وضبط مفهوم الفاصلة ، وضبط المقصود بنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل في الفاصلة القرآنية ، ثم قام على مبحثين: الأول بعنوان : الفاصلة المطلقة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، والآخر بعنوان : الفاصلة المقيدة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، واتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي ، إذ تتبعت الآيات التي بنيت فاصلتها على نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، ثم وجهت العناية نحو الآية والفاصلة بالتحليل المستبطن أغوار بنائهما ، والباحث عما وراء هذا البناء من أسرار التناسب ، وأوجه الارتباط والتقارب ، وقد استطاع هذا البحث أن يرصد تنوع فاصلة نفي الظلم بـ "لا" بين الفواصل المطلقة والمقيدة ، إذ تنوعت المطلقة بين قوله تعالى : (وهم لا يظلمون) ، (وأنتم لا تظلمون) ، وتنوعت المقيدة بين قوله تعالى : (ولا يظلمون فتيلا) ، (ولا تظلمون فتيلا) ، (ولا يظلمون نقيرا) ، (ولا يظلمون شيئا) ، (ولا يظلم ربك أحدا) ، (فلا يخاف ظلما ولا هضما) ، وقد اتسمت جميعها بالتناسب مع آيتها ، إذ أتت معمقة لمضمون ما قبلها ، ومؤكدة لها تارة ، كما أتت تارة أخرى معقبة على الآية ، أو متمكنة منها ، كما تقدمت الواو على جميع فواصل نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، وقد تنوعت هذه الواو بين الحالية والعاطفة بما يقتضيه المعنى ، ويحتمه السياق ، فكانت تظهر الحالية ، عندما يراد التأكيد بالفاصلة للجملة السابقة على وجه من الارتباط بها ، وتظهر العاطفة . غالبًا . حين يراد التأكيد كذلك ولكن على وجه من التغاير والاستقلال ، وأحيانًا تأتي العاطفة للمغايرة التامة بين الفاصلة والمعنى السابق عليها ، كما أنَّ الإحالة بالضمير (هم) ، والضمير (أنتم) قد شكلت في الفاصلة المطلقة عنصرًا من أهم عناصر التماسك الشكلي الذي يكشف عن التماسك المعنوي ، والترابط الدلالي بين الآية وفاصلتها ، وجاءت غالبية كلمات الفواصل متماثلة صوتيًا مع كلمات الفواصل المجاورة لها، مما عمق من التناسب بين خواتيم الآيات، وزاد من الانسجام بينها .

***

Summary

From the eloquence of proportionality in the Quranic comma
He continued to deny injustice without God Almighty as a model
Dr. Mansour Taha Saleh Khader
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language in Mansoura, Email
Mansourkhedr.٣٢ @ azhar.edu.eg
This research aims to examine some of the secrets of proportionality between the Quranic comma and its verse, devoting consideration to a specific comma, a comma denying injustice with “no” from God Almighty.

He came in an introduction explaining the importance of the subject that motivates his choice, the method followed, and the plan he is going on, then the preamble and included clarifying the concept of proportionality, setting the concept of a comma, and clarifying the meaning of denying injustice with “no” from God Almighty in the Quranic comma, then based on Two topics: The first is entitled: The absolute comma to deny injustice by "No" from God Almighty," and the other is titled: The comma that is tied to deny injustice by "No" from God Almighty, The study followed the analytical inductive approach, as it traced the verses that were built and separated by the denial of injustice by “no” from God Almighty, and then directed attention towards the verse and separated analysis of the underpinnings of their construction, and the researcher on what is behind this building of the secrets of proportionality, aspects of connection and convergence, and he was able This research observes the diversity of a comma, denying injustice with “no” between the absolute and restricted separations, as the absolute diversity varied between the Almighty saying: (And they do not do wrong), (and you do not do wrong), and the restriction varied between the Almighty saying: (and do not do wrong to a victim),(And do not be unjust to death), (and do not do wrong to be despised), (and do not do anything wrong)), (And your Lord does not oppress anyone), (He does not fear injustice or indigestion), and all of them were marked in proportion to their verse, as they came in-depth to the content of what preceded it, and confirmed it at times. And another time came, commenting on the verse, or being able to do it, as waw advanced all the breaks in denial of injustice with “no” from God Almighty, and this waw varied between the present and the emotion according to what the meaning requires, and the context necessitates it, and the present appeared when he wanted Affirmation of the comma of the previous sentence in the form of an association with it, and emotion often appears when the affirmation is to be like this, but in the face of heterogeneity and independence. The pronoun (you) has formed in

the absolute comma one of the most important elements of formal coherence that reveals moral coherence, and the semantic correlation between the verse and its separator, and the majority of the words of the commas came phonetically identical to the words of the adjacent ones, which deepened the proportionality between the seals of the verses, and increased harmony Between them.

***

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاةً والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد

فمن الثابت أنَّ التناسب مصطلح عام يشمل القرآن الكريم كله على امتداد سوره وآياته ، ويشمل كذلك الآية الواحدة التي تتناسب فيها الجملة مع الأخرى ، وتترابط معها بروابط معنوية ، وأواصر دلالية ، تجعل هذه الجمل في غاية التعانق والتلاحم .

والفاصلة القرآنية جزءٌ من الآية تأتي في نهايتها لتتمم بناء الآية ، وتحكم ختامها ، وما من قارئٍ متدبر وإلا ويستشعر في نفسه أنَّ كل فاصلة قد أتت في موقعها الأنسب ، وأنَّ الآية قد استدعتها ، وأنَّ النظم بها قد استمر على إحكامه .

ومن ثم فقد جاءت هذه الدراسة لتقف على بعض أسرار هذا التناسب في الفواصل ، وقد انصب النظر على فاصلة محددة ، هي نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، والتي ترمي إلى حقيقة واحدة ،هي عدل الله تعالى المطلق ، وشمولية هذا العدل لكل خلقه المؤمن منهم والكافر ، والبر والفاجر، وهذه الحقيقة بهذه الأهمية تطلبت أن تعرض في أقوى عبارة ، وأبلغ لفظ ، ومن ثم كان أسلوب النفي الذي يفوق الإثبات بنفيه للشيء صراحة ، وإثباته لنقيضه وتقريره له في الوقت ذاته .

ولأن هذه الفاصلة قد وردت في مقاصد قرآنية مختلفة ، وسياقات متنوعة ، كما تميزت بالتنوع

فـي بنائهـا اللغـوي ، والاخـتلاف فـي تركيبهـا الأسـلوبي ، فـإن محاولـة البحـث عـن أسـرار التناسب بين هذه الفاصلة وآياتها ستكون في ضوء النظر إلى السياق الكلي للآية ، وفي ضوء استنطاق الخصائص الأسلوبية لكل من الآية وفاصلتها على حد سواء .

وقد جاءت فاصلة نفي الظلم بـ "لا" عن الله تعالى في القرآن الكريم في (٢٠) موضعًا ، توزعت بين النفي المطلق والنفي المقيد ، فجاءت مطلقة في ثلاثة عشر موضعا ، و مقيدة في سبعة .

وقد اتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي ، إذ تتبع الآيات التي جاءت فاصلتها قائمة على نفي الظلم عن الله عز وجل بـ "لا" النافية ، ثم وجه العناية صوب الآية والفاصلة بالتحليل المستبطن أغوار بنائهما، والباحث عما وراء هذا البناء من أسرار التناسب ، وأوجه الارتباط والتقارب .

وجاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، و مبحثين ، وخاتمة ، وفهارس ، تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع ، والدافع إلى دراسته ، والمنهج المتبع ، والخطة التي سرت عليها ، والتمهيد بعنوان (ضبط مفهوم العنوان) تناولت فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول بعنوان : ضبط مفهوم التناسب.

والثاني : ضبط مفهوم الفاصلة .

والثالث : ضبط المقصود بنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل في الفاصلة القرآنية .

ثم جاء المبحث الأول بعنوان : الفاصلة المطلقة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، وفيه ثلاثة عشر موضعًا :

١. الموضع الأول : سورة البقرة الآية رقم (٢٧٢) .

٢. الموضع الثاني : سورة البقرة الآية رقم (٢٨١) .

٣. الموضع الثالث : سورة آل عمران الآية رقم (٢٥) .

٤. الموضع الرابع : سورة آل عمران الآية رقم (١٦١) .

٥. الموضع الخامس : سورة الأنعام الآية رقم (١٦٠) .

٦. الموضع السادس : سورة الأنفال الآية رقم (٦٠) .

٧. الموضع السابع : سورة يونس الآية رقم (٤٧) .

٨. الموضع الثامن : سورة يونس الآية رقم (٥٤)

٩. الموضع التاسع : سورة النحل الآية رقم (١١١) .

١٠. الموضع العاشر : سورة المؤمنون الآية رقم (٦٢) .

١١. الموضع الحادي عشر : سورة الزمر الآية رقم (٦٩) .

١٢. الموضع الثاني عشر : سورة الجاثية الآية رقم (٢٢) .

١٣. الموضع الثالث عشر : سورة الأحقاف الآية رقم (١٩) .

والمبحث الثاني بعنوان : الفاصلة المقيدة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، وفيه سبعة

مواضع :

١. الموضع الأول : سورة النساء الآية رقم (٤٩) .

٢. الموضع الثاني : سورة النساء الآية رقم (٧٧) .

٣. الموضع الثالث : سورة النساء الآية رقم (١٢٤) .

٤. الموضع الرابع : سورة الإسراء الآية رقم (٧١) .

٥. الموضع الخامس : سورة الكهف الآية رقم (٤٩) .

٦. الموضع السادس : سورة مريم الآية رقم (٦٠) .

٧. الموضع السابع : سورة طه الآية رقم (١١٢) .

ثم جاءت الخاتمة ، وفيها أبرز النتائج التي توصل البحث إليها ، ثم فهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

***

التمهيد

ضبط مفهوم العنوان

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ضبط مفهوم التناسب .

المطلب الثاني : ضبط مفهوم الفاصلة .

المطلب الثالث : ضبط المقصود بنفي الظلم بـ (لا) عن الله عز وجل في الفاصلة القرآنية .

المطلب الأول : ضبط مفهوم التناسب

التناسب :

التناسب والمناسبة في اللغة هي التقارب والمقاربة يقول ابن منظور : النَّسَبُ : نَسَبُ القرابات ، وهو واحد الأنساب ، ابن سيدَه : النِّسبَةُ والنُّسْبَةُ والنسب : القرابة [١] ، وفلان يناسب فلانًا أي يقرب منه ويشاكله [٢] .

والمقصود بالتناسب والمناسبة عند علماء القرآن: ((تعرُّف عِلل الترتيب ، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيب ، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب))[٣] فمصطلح المناسبة في القرآن الكريم

---

(١) لسان العرب ، مادة / نسب ، دار المعارف بدون تاريخ .

(٢) النص والخطاب ، قراءة في علوم القرآن ، د / محمد عبد الباسط عيد ، ص٩٠ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط ١ ، ٢٠١٥ م .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، ج١ ص ٥ ، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة .

بالنظر إلى ثمرته ، ((لا يبحث فيما إذا كان النص متناسبًا أم لا ، ولكنه ينطلق من التناسب من الإيمان بوجوده وكل ما يراد البحث هو الكشف عن ذلك فقط وتجليته))[١] .

والبحث عن التناسب في القرآن الكريم يقوم من خلال النظر إلى زاويتين :

((الأولى : جزئية لا تتجاوز حدود الآية الواحدة، بل إنها تقتصر على إظهار التناسب بين دال الفاصلة والآية التي يقع فيها .

والأخرى : كلية تتجاوز الآية الواحدة إلى غيرها، فهي تبحث بين مجموعة الآيات المتتابعة ، ويتسع هذا النظر ليشمل التناسب بين السورة والتي تليها .

وهاتان الزاويتان تشكلان مرتكز البحث النصي لدى علماء القرآن ، دون أن تنفصلا ، فالأولى تفضي إلى الأخرى)) [٢] .

ولأن هذا البحث معنيٌّ بالنظر في تناسب الفاصلة مع آيتها ، فإن الزاوية الأولى السابقة ، . الزاوية الجزئية . هي مصب الاهتمام ، وجوهر الدراسة التي بأيدينا ، والتي سنحاول . من خلالها . أن نبحث عن علاقة فواصل نفي الظلم بلا عن الله عز وجل مع آيتها في النظم القرآني ، متلمسين الأسباب التي جعلت هذه الفاصلة أولى بآيتها ، ومتأملين أسرار التكاتف والتآلف بين الآية وفاصلتها ، وكيف أنَّ الآية قد استدعت فاصلتها ، وأتت الفاصلة . في الوقت ذاته . في أتم التناسب والتوافق معها ، ومتناغمة كذلك بموسيقى كلماتها الصوتية ، مع كلمات الفواصل المجاورة لها .

ومن المؤكد أنَّ البحث عن التناسب بين الفاصلة وآيتها لن يتم بمعزلٍ عن النظر إلى السياق المحيط بالآية بأكملها ، ومعرفة المعنى الذي يسعى السياق إلى بيانه ، وتعزيز دلالته .

كما أنَّ البحث لابد أن يقف أمام الخصائص الأسلوبية ، والدلالات المعنوية للآية قبل الفاصلة ، وأمام الخصائص الأسلوبية للفاصلة ، والدلالات المعنوية لها كذلك ، إذ إنَّ الآية قبل الفاصلة تتقدم بخصائصها نحو الفاصلة في تصاعد متناسق ، وتلاحم محكم ، حتى تظهر الفاصلة في النهاية مكملة من هذا التناسق والتلاحم ، وتكون بمنزلة الختام المنسبك المتناسب مع ما قبله ، والمقرر لمضمونه، أو المعقب عليه .

---

(١) النص والخطاب ، قراءة في علوم القرآن ، ص ٩١ .

(٢) السابق ص ٩٧ .

المطلب الثاني : ضبط مفهوم الفاصلة

اختلف الباحثون في القرآن الكريم حول تحديد معنى الفاصلة ، فقد عرفها أبو الحسن الرماني بأنها : ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني)) [١] ، وعرفها الزركشي بأنها : ((كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع)) [٢] ، وهذا التعريف للزركشي تبعه فيه السيوطي[٣]، وكان أكثر التعريفات رواجًا لدى المحدثين [٤] .

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الرماني ، والخطابي ، وعبد القاهر الجرجاني ، ص ٩٧ ، تحقيق محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلامة ، دار المعارف ، ط ٣ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين الزركشي ، ج١ ص ٥٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، تأليف / الحافظ جلال الدين السيوطي ، ج ٣ ص ٢٩٠ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية .

(٤) ينظر فواصل الآيات القرآنية ، د/ كمال الدين عبد الغني المرسى ، ص ١١ ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ط١ ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م ، والفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ص ٢٩ ، دار عمار ، ط٢ ، ٢٠٠٠م ، وظواهر أسلوبية في القرآن الكريم ، التركيب والرسم والإيقاع، د/ عمر عبد الهادي عتيق ، ص ٣٢٥ ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ودراسات فنية في القرآن الكريم ، د/ أحمد ياسوف ص ٤٦١ ، دار المكتبي للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .

وهذا التعريف كما يظهر منه يحصر مفهوم الفاصلة في الكلمة الأخيرة من الآية ، ولكن عند التأمل في بعض الشواهد التي أصلوا من خلالها للفاصلة نجد أنها لم تقتصر على الكلمة الأخيرة ، بل شملت الجملة الأخيرة بأكملها، فقد استشهد صاحب البرهان . ضمن ما استشهد به . لـ (التمكين) الذي عده مظهرًا من مظاهر ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام بقوله تعالى : « وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيظِهِم لَم يَنَالُواْ خَيرا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلمُؤمِنِينَ ٱلقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزا» الأحزاب ٢٥ ، ثم وضَّح تحقق المصطلح في الشاهد بقوله : (فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله : (وكفى الله المؤمنين القتال) لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أنَّ الريح التي حدت كانت سبب رجوعهم ، ولم يبلغوا ما أرادوا ، وأنَّ ذلك أمر اتفاقي ، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم المؤمنين ، ويزيدهم يقينًا وإيمانًا على أنه الغالب الممتنع ، وأنَّ حزبه كذلك، وأنَّ تلك الريح التي هبت ليست اتفاقًا ، بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته ؛ وأنه ينوع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيمانًا .....) [٥] .

فالناظر في قول الزركشي السابق (فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة) يجد أنَّ الفاصلة ليست في الكلمة الأخيرة (عزيزًا) فقط ، وإنما في الجملة بأكملها كما

(٥) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج ١ ص ٧٩ .

هو واضح من كلامه ، ولهذا فإن البحث يرى أنَّ تعريف (الزركشي) ومن تابعه ، وإن كان ينطبق على كثير من الشواهد خصوصًا في الآيات القائمة على جملة واحدة ، فإن هناك كثرة تقابلها لا ينطبق عليها هذا التعريف كالآية السابقة .

ولذا فإن البحث يعتمد تعريفًا آخرًا [١] يسير عليه في دراسته ، وهو تعريف د/ سيد خضر الذي قسم فيه الفاصلة إلى نوعين باعتبار الصوت والدلالة :

أ . أما باعتبار الصوت ، فالفاصلة آخر كلمة في الآية ، وهي حاملة الصوت المشابه الذي يحدث التسجيع [٢] إن وجد ، فالفاصلة بهذا الاعتبار تسمى كلمة الفاصلة .

ب . وأما باعتبار الدلالة فجملة الفاصلة ، وفيها تكون كلمة الفاصلة جزءًا من تركيب جملة مستقلة في نهاية الآية ، وهي جمل تأتي للتعقيب ، أو لتقرير مضمون الآية غالبًا [٣] .

إذن ستنهض دراستنا على أساس أنَّ الفاصلة هي : (الجملة الأخيرة من الآية)، وكلمة الفاصلة هي الكلمة الأخيرة من الفاصلة وهي . غالبًا [٤] . التي يصح أن نشبهها . كما قال الزركشي بـ ((قافية الشعر وقرينة السجع))[٥]، وهي المنوط بها . بالدرجة الأولى . تحقيق التناسب الصوتي، والتناغم الإيقاعي مع الآيات المجاورة لآيتها .

وهذا التناسب الإيقاعي المحقق بفضل هذه الكلمة في نهاية بعض الفواصل قد حدث خلافٌ بين العلماء حول تسميته بالسجع ، فمنهم من أجاز هذه التسمية، ومنهم من رفضها، وكما يرى صاحب الإتقان فإن

---

(١) وهناك من جعل الفاصلة غير هذا و ذاك ، إذ لم يجعلها كلمة آخر الآية ، ولا جملة آخر الآية ، وإنما جعلها . من خلال التطبيق على جزء عم . فاصلة واحدة تأتي لأكثر من آية إذ يقول : (ليس بالضرورة أن تكون لكل آية فاصلة، فهناك فاصلة تكون لأكثر من آية ، معتمدًا في ذلك على التعريف القائل بأنها (طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن الكريم) ، ينظر ، المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها ، دراسة تطبيقية في سور جزء عم ، إعداد الطالب / عصام أسعد أحمد ، ص ١١ ، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، العام الجامعي ١٤٣٢هـ . ٢٠١٢م ، وأما عن صاحب التعريف فهو محمد عبد العظيم الزرقاني في مؤلفه مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتاب العربي ، فيصل عيسى البابي الحلبي .

(٢) يظهر بذلك أنَّ د/ سيد خضر من العلماء المحدثين الذين يجيزون إطلاق السجع على التوافق الإيقاعي في الفواصل ، ينظر ، فواصل الآيات القرآنية ، دراسة بلاغية دلالية ، د/ سيد خضر ، ص ٥٦ ، مكتبة الآداب ، ط٢ ، ٢٠٠٩م .

(٣) ينظر السابق ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) قلنا غالبًا باعتبار أنَّ هناك كلمات فواصل غير متماثلة مع ما يجاورها ، ومن ثم فهي تخرج عن هذا الحكم .

(٥) البرهان في علوم القرآن ، ج ١ ، ص ٥٣ .

الجمهور في ذلك على المنع إذ يقول : ((الجمهور على المنع لأن أصله من سجع الطير، فشرفُ القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته تعالى ، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها)) (١) .

ومن أشهر الذين أجازوا إطلاق السجع على الفاصلة ابن سنان الخفاجي إذ يقول . كما نقله عنه صاحب الإتقان . ((قول الرماني إنَّ السجع عيبٌ والفواصل بلاغة غلط ، فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى ، وهو غير مقصود فذلك بلاغة والفواصل مثله ، وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له، وهو مقصود متكلف فذلك عيب ، والفواصل مثله ، قال : وأظن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعًا ، رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم ، قال : والتحرير أنَّ الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل)) (٢) .

وعلى كل فإن الفاصلة في كتاب الله تأتي متعلقة بآيتها ، مرتبطة بها ، متناسبة معها أتم ما يكون التناسب ، ويستشعر القارئ لآيات القرآن الكريم أنَّ كل آية قد نادت على فاصلتها ، وفي الوقت ذاته أنَّ الفاصلة قد أقبلت عليها في التئام وتوافق ، وهذا التوافق قد تنبه إليه العلماء منذ القدم ، يقول الزركشي تحت عنوان (ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام) اعلم أنَّ المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولًا وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب ، وهي منحصرة في أربعة أشياء التمكين ، والتوشيح ، والإيغال ، والتصدير (٣) .

ثم يُعرِّف التمكين بأنه : أن يُمهد قبلها ، تمهيدًا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافذة ولا قلقة ، متعلقًا معناها بمعنى الكلام كله تعلقًا تامًا، بحيث لو طرحت اختل المعنى، واضطرب الفهم (٤) ، ثم يفرق بين الثلاثة الأُخر بقوله ، والفرق بينهما ؛ أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمى تصديرًا ، وإن كان في أثناء

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .

(٢) السابق ج ٣ ص ٢٩٤ ، وينظر تناول هذا الخلاف كذلك في الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ص ١٠٠ ، ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم ، د/ عمر عتيق ص ٣٢٦ . ٣٢٨ ، دراسات فنية في القرآن الكريم ، د/ أحمد ياسوف ص ٤٦٢ . ٤٦٦ .

(٣) ويدخل معها أيضًا التذييل ، وهو أن يُذيَّل الكلام بجملة يتحقق فيها ما قبلها للتوكيد والتحقيق، ينظر تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري ، ص ٣٨٧، تقديم وتحقيق د/ حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٢٠١٤م بتصرف .

(٤) وقد تم التمثيل له قبل قليل .

الصدر سمى توشيحًا ، وإن أفادت معنى زائدًا بعد تمام معنى الكلام سمى إيغالًا ، وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كلٍ منهما صدره يدل على عجزه ، والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ، ودلالة التوشيح معنوية .

ويمثل للتصدير . ضمن ما مثَّل به . بقوله تعالى : « قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيلَكُم لَا تَفتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبا فَيُسحِتَكُم بِعَذَاب وَقَد خَابَ مَنِ ٱفتَرَىٰ » طه٦١ ويمثل للتوشيح . ضمن ما مثَّل به . بقوله تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ ٱصطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحا وَءَالَ إِبرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمرَٰنَ عَلَى ٱلعَٰلَمِينَ » [آل عمران ٣٣].

ويمثل للإيغال . ضمن ما مثَّل به . بقوله تعالى : « أَفَحُكمَ ٱلجَٰهِلِيَّةِ يَبغُونَ وَمَن أَحسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكما لِّقَوم يُوقِنُونَ » [المائدة ٥٠] [١] .

المطلب الثالث :ضبط المقصود بنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل في الفاصلة القرآنية

يمكننا ضبط المقصود من هذا المطلب من خلال تقسيمه إلى العناصر الآتية :

أولا : معنى النفي :

النفي لغة : مصدر نفى الشيء عنه ، نحاه ودفعه وأزاله ،

واصطلاحًا : هو سلب الأمر بواسطة أحد أحرف النفي ، مثل قوله تعالى : (وَمَا عَلَّمنَٰهُ ٱلشِّعرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُۥٓ إِن هُوَ إِلَّا ذِكر وَقُرءَان مُّبِين » [يس ٦٩] ، وفيها (ما) و (إن) حرفان للنفي ، أو بواسطة فعل يفيد النفي ، كقوله تعالى: « لَّيسَ ٱلبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُم قِبَلَ ٱلمَشرِقِ وَٱلمَغرِبِ » [البقرة ١٧٧] ، ففعل النفي هو (ليس) ، أو بواسطة اسم يفيد النفي مثل (غير) ، كقوله تعالى: « إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسَاب» [الزمر ١٠]، ويسمى أيضًا الجحد[٢] ، والسَّلب [٣] .

(١) ينظر ، البرهان في علوم القرآن ، ج١ ، ص ٧٨ . ٩٧ .

(٢) ذكر السيوطي في معترك الأقران . نقلًا عن أبي جعفر النحاس وابن الشجري ، أنَّ هناك فرقًا بين النفي والجحد وهو (أن النافي إن كان صادقًا سمى كلامه نفيًا ، ولا يسمى جحدًا ، وإن كان كاذبًا سمي نفيًا وجحدًا أيضًا ، فكل جحد نفي ، وليس كل نفي جحدًا) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، لأبي الفضل السيوطي ، ضبطه وصححه ، وكتب فهارسه ، أحمد شمس الدين ص ٣٢٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .

(٣) المعجم المفصل في النحو العربي ، د/ عزيزة يابستي ، ص ١١٢٦ ، دار الكتب العلمية ،

ثانيًا : القيمة البلاغية لأسلوب النفي :

تتمثل القيمة البلاغية لأسلوب النفي . بالدرجة الأولى . في إضفائه القوة والتأكيد على المعنى((فالمعنى المعبر عنه بأسلوب النفي أقوى مما لو عبر عنه بالإثبات)) [١] ، ففي قوله تعالى : « إِنَّهُۥ لَقَول فَصل * وَمَا هُوَ بِٱلهَزلِ » [الطارق ١٣ . ١٤] ، ((لا تغني كلمة (وهو جد) لو قيلت عن نفي الهزل صراحة لا للاعتبار الموسيقي وحسب ، وإنما لكيلا تحدث أحدًا نفسه بأن يظن فيه أدنى هزل))[٢] .

ومن القيم الفنية التي يجسدها أسلوب النفي أيضًا أنَّ ((المتكلم حين يستعمل أدوات النفي قد يستحضر في ذهنه بالتبعية الإثبات ولا كذلك يكون حين يستعمل الإثبات)) [٣] فـ ((اللافت أنَّ النظر في البنية العميقة لجملة النفي يؤول بها . ضرورة . إلى منطقة الإيجاب ، على معنى أنَّ التفاعل الذهني يبدأ حركته من دائرة الإثبات ، فإما أن يتوقف عندها لينميها إلى الغاية التي يحسن الوقوف عندها، وإما أن يدخل بها دائرة النفي)) [٤] .

ثالثًا : النفي بـ (لا) :

تعد (لا) النافية من أكثر أدوات النفي دورانًا في الكلام فهي ((تنفي الجمل الاسمية ، والفعلية المصدرة بفعل ماض ، أو مضارع ، وتقع جوابًا مناقضًا لنعم ، وتنفي المفرد من خبرٍ أو حالٍ أو صفة ، وتدخل بين الجار والمجرور ، وبين المتعاطفين ، كائنةً حرف عطف ، أو غير عاطفة ، نحو (أقبل محمد لا خالد) و (ما أقبل محمد ولا خالد))) [٥] .

و ((تدخل (لا) النافية على الفعل المضارع ، فلا تقيده بزمن على الأرجح، وإن كان النحاة يرون أنها تخلصه للاستقبال)) [٦] ، لأنه إذا ((كان المضارع مثبتًا يدل على أزمنة مختلفة وفق سياق الأسلوب ، فكذلك هو منفيًا ما لم يخصص))[٧].

وهي لذلك قد ((تدل في النفي على مطلق الزمن)) (٨) كما في قوله تعالى : « لَّا تُدرِكُهُ ٱلأَبصَٰرُ وَهُوَ يُدرِكُ ٱلأَبصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ » [الأنعام ١٠٣]، ((فالمقابلة بين (لا تدركه) ، و (هو يدرك) توضح لنا زمن الإدراك وعدمه : الماضي والحاضر والمستقبل ، فالمضارع من الشمول والاتساع بحيث يشمل الأزمنة الثلاثة)) [٩].

وقد تكون "للحال والاستقبال" [١٠] كقوله تعالى : « إِنَّهُۥ لَا يُفلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ» [القصص ٣٧] ، فـ

بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .

(١) أساليب النفي في القرآن ، د/ أحمد ماهر البقري ص ١٩ ، دار المعارف ، ١٩٨٤م .

(٢)السابق الصفحة نفسها .

(٣) السابق ص ١٨ .

(٤) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث ، د/ محمد عبد المطلب ، ص ١٨٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م.

(٥) معاني النحو ، د/ فاضل صالح السامرائي ج ٤ ص ١٨٠ ، دار الفكر الأردن ، ط٥ ، ٢٠١١م .

(٦) السابق ج ٤ ص ١٧٧ .

(٧) أساليب النفي في القرآن الكريم ، ص ٢٥.

(٨) السابق ص ٢٤ .

(٩) السابق الصفحة نفسها .

(١٠) أساليب النفي في القرآن ص ٢٥ .

((عدم فلاحهم في الحال والاستقبال ، ولو قيل: لا يفلح الظالمون اليوم فالمقصود قصر عدم الفلاح في الحال فقط)) [١] .

وقد تكون للحال كقوله تعالى : « مَا لَكُم لَا تَنطِقُونَ » [الصافات ٩٢] .

وقد تكون للاستقبال نحو قوله تعالى : « وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَومَ ٱلقِيٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِم » [البقرة ١٧٤] .

وقد تكون للاستمرار وذلك نحو قوله تعالى : « لَا تَأخُذُهُۥ سِنَة وَلَا نَوم » [البقرة ٢٥٥] [٢] .

رابعًا : القيمة البلاغية لـ (لا) النافية :

تعد لا النافية ((أقدم حروف النفي في العربية)) [٣] ، كما أنها الأصل والأخف والأكثر استعمالًا ، فـ ((أصل أدوات النفي لا وما ؛ لأن النفي إما في الماضي ، وإما في المستقبل ، والاستقبال أكثر من الماضي أبدًا ، ولا أخف من ما ، فوضعوا الأخف للأكثر)) [٤] .

كما أنها تفيد الشمول في النفي ((فهي تنفي ما بعدها أحيانًا نفيًا شاملًا مستغرقًا ، كنفيها الجنس في نحو : لاشك في ذلك ، ولا رجل في الدار ، ولا شجرة في الصحراء ، ولأنها تخرج من النفي إلى النهي ، في نحو : لا تضرب زيدًا ، ولا تقترب من عمرو ، ولأنها تستعمل مفردة ، وتستعمل مركبة في : لم ، ولمّا ، ولن ، وليس ، ولات ، ولم ترد ما مركبة في الكلام، وذلك لأن اللام في أول لا . وهو عماد الدلالة على النفي . كان قد أضفى عليها من الخفة والسهولة ما لم تحظ به ما ولا غيرها)) [٥] .

يضاف إلى ذلك ((أنَّ امتداد الصوت وانطلاقه في هذا الحرف يشعر بتطاول زمن هذا النفي وأنَّ النفي به حريٌ أن يكون للتأبيد)) [٦] .

خامسًا : معنى الظلم في اللغة والقرآن :

الظلم في اللغة : يطلق الظلم في اللغة على عدة معانٍ منها (وضع الشيء في غير موضعه) فمن أمثال العرب في الشبه : من أشبه أباه فما ظلم ، قال الأصمعي: ما ظلم أي ما وَضَعَ الشَّبَهَ في غير موضعه .

كما يطلق على الجَوْرُ ومجاوزة الحد ، وعلى الميل عن القصد ، وعلى المنع ، فـ (الظَّلَمةُ : المانعون أهل الحقوق حقوقهم ، يقال ما ظلمك

---

(١) السابق الصفحة نفسها .
(٢) ينظر معاني النحو ج ٤ ص ١٧٧ .
(٣) التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر ، ص ١١٥ ، مطبعة السماح سنة ١٩٢٩م ، نقلًا عن معاني النحو ، ج ٤ ص ١٧٦.
(٤) معترك الأقران ص ٣٢٣ .
(٥) في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي، ص ٢٤٨ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٤م ، نقلًا عن دراسة "لا" في القرآن الكريم ، دراسة نحوية دلالية ، نعيم صالح سعيد نعيرات ، ص ١٣٤ ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٧م .
(٦) قراءة في الأدب القديم ، د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٠٧ ، ط٢ ، ١٩٩٨م .

عن كذا، أي ما منعك)[١] .

وعند النظر إلى مادة (ظلم) في القرآن نجد أنها قد حملت أكثر من معنى ، وهذه المعاني أرجعها صاحب بحث (مفهوم الظلم في القرآن)[٢] فيما نقله عن (مقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠هـ) صاحب كتاب الأشباه والنظائر) إلى سبعة معانٍ :

الأول : الظالمين : يعني المشركين وذلك كما في قوله تعالى : « فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم أَن لَّعنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ » [الأعراف ٤٤] .

الثاني : الظالمين : يعني به المسلم الذي يظلم نفسه بذنب يصيبه من غير شرك ، فذلك قوله تعالى :« وَلَا تَقرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ » [البقرة ٣٥] .

الثالث : الظلم يعني ظلم الناس ، كقوله تعالى : « وَمَن قُتِلَ مَظلُومًا » [الإسراء ٣٣] .

الرابع : الظلم يعني النقص كقوله تعالى : « كِلتَا ٱلجَنَّتَينِ ءَاتَت أُكُلَهَا وَلَم تَظلِم مِّنهُ شَيـًٔا » [الكهف ٣٣] .

الخامس : يظلمون أنفسهم بالشرك والتكذيب ، وذلك كما في قوله تعالى : « وَمَا ظَلَمنَٰهُم وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ » [الزخرف ٧٦] .

يعني كفار الأمم كلهم فنعذبهم بغير ذنب ، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم لكفرهم وتكذيبهم [٣] .

السادس : يظلمون يعني يجحدون ، كقوله تعالى : « ثُمَّ بَعَثنَا مِنۢ بَعدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرعَونَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ » [الأعراف ١٠٣].

السابع : الظالمين يعني السارقين ، وذلك كقوله تعالى : « فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ » يعني السارق الذي وجدت السرقة في رحله فهو جزاؤه « كَذَٰلِكَ نَجزِي ٱلظَّٰلِمِينَ » يوسف ٧٥ ، يعني السارقين.

و ((هذه المعاني أو الوجوه السبعة التي انتهى إليها صاحب أقدم تفسير للقرآن تعد أساسًا بنى عليه أصحاب التفاسير معظم أقوالهم ، وآرائهم حول معنى الظلم ، وربما زاد بعضهم شيئًا من بعده من المعاني التي لا تبعد كثيرًا عن تلك الوجوه ، فقد قيل في قوله تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) بمعنى : لا يسلبهم ، والسلب هنا لا يخرج عن النقص ، وقد ذكره مقاتل ضمن ما ذكره))[٤].

ومما أضافه المفسرون أيضًا أنَّ الظلم (زيادة عقاب ونقص ثواب) ، ونفيه يعني (نفي الزيادة في العقاب ، أو النقصان في الثواب) كما سيتضح لنا من خلال دراستنا .

سادسًا : مواضع فاصلة نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل :

وإذا توجهنا إلى الظلم المنفي "بلا" عن الله عز وجل في النظم القرآني فإنه قد ورد في الفواصل وفي غير الفواصل فقد ورد في غير الفواصل كما في قوله تعالى : (وَنَضَعُ ٱلمَوَٰزِينَ ٱلقِسطَ

---

(١) لسان العرب (ظلم) .

(٢) د/ رفيق حسن الحليمي ، مجلة الوعي الإسلامي ، ص ٤٠ ، العدد ٣٥٢ ، السنة الحادية والثلاثون ، ذو الحجة ١٤١٥هـ . مايو (أيار) ١٩٩٥م .

(٣) واضح أنَّ هذا المعنى يتداخل مع النوع الأول .

(٤) مجلة الوعي الإسلامي ، عدد ٣٥٢، ص ٤١ .

لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧) الأنبياء ٤٧ ، وقوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ٤٠) النساء ٤٠ ، وفي الفواصل . وهو موضع الدراسة . نجد أنه قد ورد في عشرين موضعًا ، تم تقسيمهم من خلال النظر في إطلاق النفي وتقييده إلى مبحثين :

المبحث الأول : الفاصلة المطلقة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، وفيه ثلاث عشرة آية ، هي :

١. سورة البقرة آية ٢٧٢ « لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ » .

٢. سورة البقرة آية ٢٨١ « وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ » .

٣. سورة آل عمران آية ٢٥ « فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ».

٤. سورة آل عمران آية ١٦١ « وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ » .

٥. سورة الأنعام آية ١٦٠ « مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ » .

٦. سورة الأنفال آية ٦٠ « وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ » .

٧. سورة يونس آية ٤٧ « وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ » .

٨. سورة يونس آية ٥٤ « وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ».

٩. سورة النحل آية ١١١ « يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ » .

١٠. سورة المؤمنون آية ٦٢ « وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ».

١١. سورة الزمر آية ٦٩ « وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ »

١٢. سورة الجاثية آية ٢٢ « وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ».

١٣. سورة الأحقاف آية ١٩ « وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ » .

المبحث الثاني : الفاصلة المقيدة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، وفيه سبعة مواضع هي:

١. سورة النساء آية ٤٩ « أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۡۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا » .

٢. سورة النساء آية ٧٧ « أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا » .

٣. سورة النساء آية ١٢٤ « وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا » .

٤. سورة الإسراء آية ٧١ « يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا » .

٥. سورة الكهف آية ٤٩ « وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ».

٦. سورة مريم آية ٦٠ « إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا » .

٧. سورة طه آية ١١٢ « وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا» .

***

المبحث الأول

الفاصلة المطلقة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل

وفيه ثلاثة عشر موضعًا :

١. الموضع الأول : سورة البقرة الآية رقم (٢٧٢) .

٢. الموضع الثاني : سورة البقرة الآية رقم (٢٨١) .

٣. الموضع الثالث : سورة آل عمران الآية رقم (٢٥) .

٤. الموضع الرابع : سورة آل عمران الآية رقم (١٦١) .

٥. الموضع الخامس : سورة الأنعام الآية رقم (١٦٠) .

٦. الموضع السادس : سورة الأنفال الآية رقم (٦٠) .

٧. الموضع السابع : سورة يونس الآية رقم (٤٧) .

٨. الموضع الثامن : سورة يونس الآية رقم (٥٤) .

٩. الموضع التاسع: سورة النحل الآية رقم (١١١)

١٠. الموضع العاشر : سورة المؤمنون الآية رقم (٦٢) .

١١. الموضع الحادي عشر : سورة الزمر الآية رقم (٦٩) .

١٢. الموضع الثاني عشر : سورة الجاثية الآية رقم (٢٢) .

١٣. الموضع الثالث عشر : سورة الأحقاف الآية رقم (١٩) .

الموضع الأول : سورة البقرة الآية رقم (٢٧٢)
يقول الله تعالى : « لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » .
وردت هذه الآية في سورة البقرة في سياق الحديث عن الإنفاق ، وتسعى الآية هنا إلى حث النفوس عليه باعتباره بابًا من أبواب الهدى والتقوى .
ولأن الإنفاق من الأمور التي تتنافر مع طباع النفس المجبولة على حب التملك ، والإبقاء لما في اليد لتنميته وزيادته ؛ فإن الآية قد احتشدت بالمعاني المحفزة عليه ، وتشكلت هذه المعاني في أساليب قوية سارت نحو الفاصلة في تناغم آسر .
وبالتأمل في فاصلة الآية (وهم لا يظلمون) في ضوء آيتها ، نجد أنها جاءت بمعناها وبنائها على أتم ما يكون التناسب والتلاؤم مع قبلها ، كما أنها سُبقت بمجموعة من الأساليب المتسلسلة في تعانق وانسجام جعل الوصول إليها سهلًا معبدًا ، ومتوافقًا مع ما تدل عليه الفاصلة من ترغيب في الإنفاق وحثٍ عليه .
فبعد أن بدأت الآية بنفي هداية الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإثباتها لله عز وجل الذي يهدي من يشاء ، بدأت في التوجه إلى الترغيب في الإنفاق من خلال جملتين شرطيتين هما (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم)، (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) ، وبفضل ما في أسلوب الشرط من ترتبٍ للجواب على الشرط ، وتسببه عنه ، وتشويق لانتظار الجواب، وإحكام الربط بين أجزاء الجملة ؛ انعكس ذلك على الدلالة المعنوية لهاتين الجملتين فأحس المتلقي بقوة تحقق الحكم الصادر عنهما ، ومن ثم فقد تأكد له أنَّ ثواب الإنفاق عائد لا محالة عليه ، وأنه سيوفى ثوابه بتمامه وكماله .
ومما زاد من فاعلية هذا الأسلوب هنا أنَّ الشرط في الجملتين لم يأت مطلقًا بل جاء مقيدًا بقوله تعالى : « مِنْ خَيْرٍ » ، و من ثم فإن الجواب فيهما مترتب على الشرط ، وما قيد به ، وليس مرتبًا على الشرط على إطلاقه ، فالإنفاق بمفرده لا يترتب عليه الجواب ، وإنما يتقيد بقوله تعالى : « مِنْ خَيْرٍ » ، وهذا القيد يبين المقصد ، ويحدد الدلالة تحديدًا دقيقًا ، فالإنفاق لابد أن يكون نابعًا من خير ، حتى يتحقق العود على النفس في الجملة الأولى ، والتوفية الكاملة للثواب في الجملة الثانية ، وجاء هذا القيد منكرًا للعموم والشمول ، ومن ثم فكل أبواب الخير مباحة للإنفاق والبذل ، وهاتان الجملتان الشرطيتان قد توسطهما جملة القصر المعترضة بينهما « وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ » ، والتي قصرت الإنفاق على ابتغاء وجه الله ، بما لأسلوب القصر من ترسيخٍ للمعنى ، وتثبيته في ذهن القارئ ، وهذه الجملة أكدت مضمون الجملة قبلها ، المقررة لضرورة الخيرية في الإنفاق ، بما أشارت إليه من ضرورة ابتغاء وجه الله في الإنفاق ، فالله طيب لا يقبل إلا الطيب ، كما أنَّ جملة القصر هذه مهدت

للجملة الشرطية بعدها، إذ إن القيد في الشرطية « مِنْ خَيْر » ناظرٌ إلى ما في جملة القصر من الإخلاص وابتغاء وجه الله في الإنفاق ، وفي النهاية فإن ما في جملة الشرط الثانية من معنى التوفية في الجواب قد تأكد بالفاصلة « وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » ، والتي جاءت لترسخ هذا التناسب ، وتختم الآية هذا الختام المحكم ، بنفيها للظلم بعد تقرير التوفية الكاملة للثواب ، وبهذا تعانقت الجمل داخل الآية ، وسارت سيرًا سلسًا ، وتهادت في طمأنينة وانسجام نحو الفاصلة التي ظهرت في النهاية قرارًا مكينًا تصب فيه هذه الجمل المتعاقبة .

وقد جاءت الفاصلة على أفضل بناء يوصل المعنى التي تريده ، ويحكم التناسب مع ما قبلها.

فقد وردت في ثوب الجملة الحالية المسبوقة بواو الحال ، وهذه الواو وإن كانت تجعل الجملة بعدها توشك أن تكون خبرًا مستقلًا إلا أنها في الوقت ذاته لارتباطها الزمني بما قبلها فإنها تنادي عليه لتؤكد مدلوله ، وتصاعد من تقريره ، ومن ثم فهي نفي لوقوع ظلم من الله تعالى على المنفق ، وهذا ما يؤكد مفهوم الجملة قبلها التي أكدت استيفاء الحق كاملًا ، وتوفية الحق كاملًا هو مفهوم انتفاء الظلم ، ومن ثم فالجملة . بفاعلية الواو . أضحت امتدادًا أفقيًا للمعنى ، يضغط على إيقاعه المعنوي ، ويقرره داخل النفس ، حتى يكتمل لديها بجميع أركانه فتنتزع منها الاقتناع والتسليم .

والضمير (أنتم) – بما فيه من استحضار للمخاطب ، والإشارة الواضحة إليه – تقبل بواسطته الفاصلة على المخاطب لتستميله ، وتجعله يقبل على الخطاب فيكون هذا أدعى إلى امتثاله واستجابته ، بتأكيد مضمون الجملة داخله ، و(لا) النافية بما فيها من امتداد للصوت تعمل على تأييد النفي ، وتؤكد استحالة وقوع الظلم .

والفعل المضارع المنفي (تظلمون) يؤكد استمرار نفي الظلم ، وتجدد عدم حصوله لهم ، ويستحضر هذا المعنى واضحًا جليًا أمام النفس ، كما أنَّ النفي المطلق له يعكس عموم النفي واطراده فلا يقع عليهم أي ظلم من أي نوع كان ، وهذا الفعل المنفي يتعانق بمضارعيته مع الدلالة الصوتية الصادرة من تكرار صيغة المضارع (تنفقوا) في الآية قبلها ، وترتبط معها برباط متين ، لأن هذا التكرار وإن كان يشجع على الإنفاق والبذل بطريق الإثبات ، فإن هذا الفعل في الفاصلة يشجع عليه كذلك بطريق النفي .

وأخيرًا فإن اشتمال هذا الفعل على المد قبل النهاية يجبر المتلقي على الجنوح نحو التهدئة والوقف ، وهذا مما يجعل معاني هذه اللفظة المنفية تتسرب إلى نفسه بكامل ظلالها وأبعادها ، المفعمة والمكتظة بكل معاني النفي للظلم على الإنفاق ، والتأكيد على استحالة حصوله .

وبهذا فقد جاءت الفاصلة متناسبة مع آيتها إذ نسجت على نفس منوالها في التشجيع على الإنفاق والحث عليه ، كما أنها قد أكدت الجملة قبلها ، وعمقت من التدليل على تحقق الثواب والأجر ، لاسيما وأنَّ الفعل (يوف) جاء بالبناء لما لم يسم فاعله مشتركًا بذلك مع الفعل (يظلمون) وهذا مما يعمق من الالتحام بين الجملتين فالله عز وجل هو الذي يتولى التوفية ، وهو ما يبعث اليقين في نفس المنفق بأنه سيحصل لا محالة على ثوابه الكامل

لما أنفقه ، ودون حصول أدنى ظلمٍ له .

الموضع الثاني : سورة البقرة الآية رقم (٢٨١) قال تعالى : « وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ » .

تدور هذه الآية حول ((الترهيب من ارتكاب ما نهى الله تعالى عنه ، والترغيب في فعل ما أمر به أو ندب إليه ، لأن في ترك المنهيات سلامة من آثامها ، وفي فعل المطلوبات استكثارًا من ثوابها ، والكل يرجع إلى اتقاء ذلك اليوم الذي تطلب فيه السلامة وكثرة أسباب النجاح)) [١] ، كما ((أنَّ هذه آخر آية نزلت))[٢] من القرآن الكريم .

وقد جاءت الفاصلة (وهم لا يظلمون) متناسبة مع ما قبلها ، ومعمقة لمضمونه ، إذ أكدت نفي الظلم عن كل نفس ، ورسخت دلالة الترغيب في العمل الصالح بعدم ضياع ثوابه ، أو الزيادة على ما عملته من سوء ، فإذا كانت الآية قد ابتدأت بتحذير الخلق ، وترهيب النفوس ، بتذكيرهم بضرورة الخوف والخشية والترقب والاستعداد لليوم الذي يرجعون فيه إلى الله ليوفيهم أجورهم على ما كسبوا في دنياهم ، فإنَّ الفاصلة هنا جاءت لتنفي حصول ظلم لهم في هذه التوفية ، وفي هذا بعث للطمأنينة في القلوب ، وحث على الاجتهاد والنشاط في العمل الصالح ، والبعد عن الآثام والمعاصي ، لأن النفس رهينة بما عملته ، وسوف تحاسب عليه حسابًا عادلًا .

وقد أتى البناء اللفظي للآية الكريمة في مجملها دالًا على المعنى المقصود ، ومتناغمًا معه على أقوى ما تكون الدلالة ، ويكون التناغم .

فقد تصدرت بالفعل (واتقوا) بصيغتي الأمر والخطاب لينبه المخاطب إلى الامتثال لما يؤمر به ، ويستحضره لينصت إلى هذا القول الجلل ، ويجعله يقبل عليه بكل كيانه وحواسه ، والانتباه له بكل مداركه ، فتسيطر عليه الخشية والخوف والمراقبة، وينهض نحو العمل الصالح ، ويعرض عن الطالح ، ثم تتصاعد داخله هذه الدلالات أكثر بوصوله إلى المفعول (يومًا) والذي جاء منكرًا للتهويل ((والتفخيم كما أنَّ تعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد التي تجعل الولدان شيبا)) [٣] .

ويأتي وصف هذا اليوم بقوله تعالى : (ترجعون فيه إلى الله) ليضع المتلقي أمام المصير المحتوم ، والنهاية الأكيدة له ، وهي الرجوع إلى الله عز وجل ، والعودة إليه للحساب والفصل في هذا اليوم ، وهو يوم القيامة ، وترجعون ((على البناء للمفعول من الرجع ، وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع ، والأول أدخل كما قيل في التهويل ، وقرئ يرجعون على طريق الالتفات)) [٤] .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج١ ص ٩٧ ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثاني ، للعلامة الألوسي البغدادي ، ج ٣ ص ٥٤، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٤) السابق الصفحة نفسها .

وتجئ أداة العطف (ثم) بما تفيده من التراخي لتصور ((طول وقوفهم ذلك الموقف في مقام الهيبة ، وتمادي حبسهم في مشهد الحلال والعظمة)) [١] ، وورود الفعل (توفى) بالبناء للمجهول وبمضارعيته يصور مشهد انتظار الخلق للحساب، مع ما فيه من ثقل ومشقة على النفس فـ (لما كان إيقاف الإنسان على كل عمل من سر وعلن في غاية الكراهة إليه فضلًا عن جزائه عن كل شيء منه لا بالنسبة إلى موقف معين منه بنى الفعل للمفعول) [٢] ، كما أنَّ بناء الفعل لما لم يسم فاعله يمعن في إبراز جلال الموقف ، وذلك للعلم بالفاعل الحقيقي الذي يتولى التوفية ، ويعطي كل ذي حق حقه. وقوله : (كل نفس) بهذه الصيغة المفيدة للعموم والشمول من خلال (كل) المضافة إلى نكرة تؤكد معنى الاستغراق الكامل ، والاستيعاب الشامل لكل نفس ، فكل نفس سترجع إلى الله عز وجل ، وستقف هذا الموقف لتوفى جزاء ما كسبته ، وإذا كان التركيب الإضافي (كل نفس) قد دل على شمولية الرجوع لكل نفس ، فإنَّ حرف الصلة والفعل "كسبت" كذلك يفيدان الاستغراق الكامل كذلك ، والحضور التام لكل ما فعلته وعملته النفوس في دنياها ، وعدم نسيان أو ضياع صغيرة أو كبيرة حتى ولو كان مثقال ذرة ، ((والكسب العمل كيف كان))[٣] ، ولعل إيثار الفعل (كسبت)دون (عملت) في هذا السياق يرجع إلى ورود هذه الآية عقب الحديث عن آيات الإنفاق والربا[٤] ، ففيهما من التحري والاهتمام والاحتشاد لهما ، ما يجعل لفظة الكسب[٥] أليق بهذا الموطن من العمل[٦] الذي هو أعم من الكسب [٧] ، ثم تأتي الفاصلة (وهم لا يظلمون) في ثوب الجملة الحالية المصدرة بالواو لتمعن في تقرير ما قبلها وتأكيده وتجعلها . في الوقت ذاته . وكأنها جملة مستقلة عما قبلها تنهض بنفسها لتنفي الظلم ، وتؤكد عدم وقوعه عليهم ، ومجيء الضمير (هم) بعد الواو يمعن في تقرير استحالة وقوع الظلم على كل نفس ، وهذا الضمير يعود على ((كل نفس وجمع باعتبار المعنى)) [٨] ، والإحالة من

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، ج ٤ ص ١٤٥ .

(٢) السابق ص ١٤٦ بتصرف .

(٣) روح المعاني ج ٣ ص ٥٤ سابق .

(٤) هذا التعليل منقولٌ من مقالٍ منسوب للدكتور فاضل صالح السامرائي ، الشبكة الدولية للمعلومات .

(٥) قال الراغب الأصفهاني : الكسب : ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع ، وتحصيل حظ ، ككسب المال ، وقال ابن فارس أيضًا : في كسب : الكاف والسين والباء أصل صحيحٌ، وهو يدل على ابتغاءٍ وطلب وإصابة ، انظر الأول : مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، ص ٧٠٩ ، دار القلم ، دمشق ، وانظر الثاني : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ج٥ ص ١٧٩، دار الفكر .

(٦) العمل : كل فعلٍ يكون من الحيوان بقصد ، وهو أخص من الفعل ، مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٨٧ ، وقال ابن فارس ، العمل : العين والميم واللام أصلٌ واحد صحيح ، وهو عام في كل فِعْلٍ يُفْعَل ، ج٤ص ١٤٥ .

(٧) ينظر نظم الدرر ج ١٨ ص ٩٣ .

(٨) السابق الصفحة نفسها . .

الضمير على ما سبق تعطي للآية تماسكًا يعمق من التلاحم الشكلي الذي يعد مظهرًا خارجيًا للتماسك المعنوي ، والتلاحم الدلالي الذي يسري داخل أوصال الآية ، في مجملها .

وتختم الفاصلة بـ (لا) الداخلة على المضارع المبني لما لم يسم فاعله (يظلمون) لتنفي بهذا الإطلاق والشمول وقوع أي ظلم عليهم من أي نوعٍ كان ، يوم الرجوع إلى الله ، فلا يزاد عليهم شيء لم يفعلوه ، ولا ينقص منهم ثواب عمل صالح عملوه ، و(لا) النافية بما فيها من مد يعمل على إطالة أمد الصوت ، وهو ما يصور تأبيد انتفاء الظلم ، وانتفاء حصوله ، كما ينبثق منها بدخولها على الفعل المضارع (يظلمون) عنصرًا زمنيًا مستقبليًا يتلاحم دلاليًا مع العنصر الزمني المؤطر بمكان الحساب والتوفية الوارد في بداية الآية (يومًا) ، وهذا يفصح عن قوة الترابط والانسجام بين الآية وفاصلتها ، كما أنَّ بناء الفعل لما لم يسم فاعله يدل دلالة قاطعة ، على استحالة وقوع ظلم عليهم ، لأن الله عز وجل لا يتصف بالظلم أساسًا ، فضلًا عن أن يظلمهم .

ودلالة الشمول المستوعبة لنفي كل أنواع الظلم عنهم والمستوحاة من إطلاق النفي في الفاصلة ، تتناسب مع دلالة الشمول المستوعبة لتوفية كل نفس بما كسبت في الجملة السابقة ، ومن ثم تقرر الجملتان الشمولية في التوفية ، وفي انتفاء كل أنواع الظلم ، وهذا ما يؤكد على نهاية عدل الله تعالى .

كما أنَّ مجيء هذا الفعل مختومًا بالنون المسبوقة بحرف المد جعله يتسم بالتناغم الصوتي مع كلمات فواصل الآيات المجاورة ، فأغلب كلمات فواصل السورة تنتهي بالنون أو الميم المسبوقتين بمد .

الموضع الثالث : سورة آل عمران الآية رقم (٢٥)

قال تعالى : « فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» تأتي هذه الآية في خاتمة الحديث عن اليهود الذين ((يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم في مجال الأحكام ، والحلال والحرام ، وشئون الدين ، ولكنهم يتولون في مجموعهم وهم معرضون ، والسبب في ذلك افتراؤهم على الله الكذب فيزعمون مثلًا أنهم لن يمكثوا في النار إلا أربعين يومًا ، وهي الأيام التي عبد فيها آباؤهم العجل حينما ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه ، وما أسوأ حال القوم ومآلهم حينما يجمعون يوم القيامة لفصل الحساب فلا يظلمون بنقص حسنة أو زيادة سيئة)) [١] .

فهذه الآية في هذا السياق ترصد الموقف الفظيع والمشهد المزري الذي يكون عليه هؤلاء اليهود . المكابرين المتحججين بالحجج الواهية التي ابتدعوها من خيالاتهم الضالة الباطلة . حين يجمعهم الله يوم القيامة لحسابهم على كفرهم وإعراضهم .

وعندما نتأمل في هذه الآية نجد أنَّ فاصلتها القائمة على نفي الظلم عن الله عز وجل جاءت متناسبة معها ، مكملة لمعناها ، معمقة

---

(١) تأملات في سورة آل عمران ، د/ حسن محمد باجودة ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، دار البلاد للطباعة والنشر ، جدة ، بدون .

لمضمونها .

فالآية قد ابتدأت بالاستفهام (كيف) المفيد (للتعجيب والتفظيع)[١] من حالتهم في هذا اليوم بعد الغرور والمعاندة والاستكبار الذي كان منهم، وآثرت الآية أسلوب الاستفهام ليثير العقل ، ويحفز الفكر ليتأمل جيدًا موقفهم المخزي في يوم الحساب والفصل ، ثم جاءت (إذا) الظرفية لتمعن في التحديد لهذا اليوم ، وتضعه في بؤرة الضوء أمامهم علهم يستشعروا حقيقته القاسية على نفوسهم ، إذ لا مفر لهم ، ولا مهرب من المواجهة والعقاب على ما قدموه .

ولأن المقصود من الجمع في هذا الموقف [٢] هو الجزاء والمحاسبة على هذا الإعراض والافتراء فقد قال تعالى : (ليوم) (باللام) دون (في يوم) بـ "في"، وذلك لأنك ((تقول في الكلام جمعوا ليوم الخميس ، وكأن اللام لفعل مضمر في الخميس ، كأنهم جمعوا لما يكون يوم الخميس ، وإذ قلت جمعوا في يوم الخميس لم تضمر فعلًا)) [٣] .

ووصف اليوم بقوله : (لاريب فيه) بتوظيف لا النافية للجنس يمعن في تأكيد حتمية مجيء ذلك اليوم ، وأحقية وقوعه .

وتأتي الجملة المعطوفة على جملة (لاريب فيه)، (ووفيت كل نفس ما كسبت) لتصرح بالمغزى من الجمع في هذا اليوم ، وهو توفية الجزاء لكل نفس على ما قدمته في حياتها الدنيا إما الفوز لمن سمع وأطاع ، وإما الخسران لمن أعرض وعصى .

وقد جمعت هذه الجملة من الخصائص التعبيرية التي تؤكد تمام ملائمتها وتناسبها مع سياقها ، ف (لما كان الجزاء أمرًا متحققًا لابد منه أشار إليه بصيغة الماضي (ووفيت) والبناء للمفعول للإفهام بسهولة ذلك عليه ، وإن كان يفوت الحصر ، وتأنيث الفعل للإشارة إلى دناءة النفوس وضعفها، ودلت (كل نفس) على شمولية الوفاء لكل نفس أهل الكتاب وغيرهم ، وعموم الوفاء لكل من يعمه الجمع ، ولما كان هذا الجزاء شاملًا للخير والشر ، قال : (ما) أي جزاء ما (كسبت) فأتى به مخففًا ليشمل المباشرة بكسب أو اكتساب ، وأنث الفعل مع جواز التذكير مراعاة للفظ (كل) ، إشارة إلى الإحاطة بالأفعال ، ولو كانت في غاية الحقارة ، وراعى معنى (كل) للوفاء بالمعنى)) [٤] .

كما أنَّ ماضوية الفعل (وفيت) تتناغم مع سياق الآية السريع المتلاحق ، وتتلاءم مع الفعل الماضي (جمعناهم) ، ولعل إيثار الفعل (كسبت) دون (عملت) هنا لأنها أنسب مع الآيات التي تتحدث عن اليهود الذين يتحرون طرق الضلال، ويجتهدون في البعد عن الحق ، والاحتشاد بالحجج الزائفة .

ثم تأتي الفاصلة (وهم لا يظلمون) لتسير في ركاب التناسب اللفظي والمعنوي الذي تتسم به الآية منذ بدايتها ، إذ تصرح في وضوح بنفي

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ، ، ج٣ ، ص ٢١١ .

(٢) نظم الدرر ج ٤ ص ٣٠٦ .

(٣) معاني القرآن ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، ج١ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، عالم الكتب ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .

(٤) نظم الدرر ، ج٤ ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

الظلم عن كل نفس ، وقد امتلكت من الخصائص التعبيرية كذلك ما جعلها تنهض بحق هذه المناسبة ، فتصدرت بواو الحال التي جعلتها وكأنها استئناف لمعنى جديد ، والخبر بها يوشك أن يكون خبرًا جديدًا ، مع أنها في ذاتها مؤكدة لما قبلها ، موغلة في تقرير معناه ، لأن التوفية في الجملة السابقة بمعنى أداء الحق كاملًا ، أي توفى كل نفس جزاء ما كسبت تامًا كاملًا دون نقص من حسناتها ، أو زيادة على سيئاتها ، وهذا هو مضمون نفي الظلم عن الله عز وجل في هذه الفاصلة ، ثم جاء الضمير (هم) ليفيد العموم والشمول ، وليتوافق مع دلالة العموم والشمول المفادة من لفظة (كل) بدخولها على النكرة (نفس) كذلك ، كما عضد بهذه الإحالة من تناسب الفاصلة وتماسكها مع ما قبلها ،فالضمائر ((لا يتأتى تفسيرها إلا بالعودة إلى العنصر الإشاري المركزي المتقدم)) [1] ، وتأتي لا النافية بما تفيده من تأبيد النفي وشموله ، واستمراره في المستقبل لتؤكد استحالة وقوع ما دخلت عليه ، كما أنها أعطت عنصرًا زمنيًا يتسق مع دلالة الاستقبال التي تظلل الآية بأسرها ، ويجئ الفعل المنفي (يظلمون) بهذا الإطلاق ، وبهذه الصيغة من البناء لما لم يسم فاعله ، ليدلل على شمولية النفي فلا ظلم يقع عليهم من أي نوع كان ، وليدلِّل في قوة على استحالة وجوده ، كما أنَّ البناء لما لم يسم فاعله ينسجم مع بناء الفعل (وفيت) كذلك، وكأنهما أمران حاصلان متحققان ولازمان، فالتوفية لا ظلم فيها، وما فعلوه سيجدونه حاضرًا كما هو ، وسيحاسبون عليه حسابًا عادلًا بتمامه وكماله .

وهذه الفاصلة بهذه الكثافة الدلالية في هذا السياق تتناسب بقوة مع آيتها ، والآيات السابقة التي تصف حال هؤلاء اليهود المعاندين المتبجحين ، إذ توحي بأنَّ هؤلاء مهما لاقوا من عذاب ، ومهما قابلوا من تنكيل في هذا اليوم ، فإنهم لن يكونوا في موقفٍ يستحقون فيه الشفقة أو الرأفة ، إذ لم يُتجن عليهم بهذا الجزاء المنوط بهم ، وإنما هو الجزاء العادل المناسب لما صنعوه من إعراض عن دين الله عز وجل ، ومكابرة ومعاندة وتحجج بحجج واهية ، وأباطيل زائفة ، اخترعوها بخيالهم المريض ، وعقولهم الفاسدة .

***

(١) بحث التماسك النصي في قصيدة جاهلية للمثقف العبدي ، دراسة في علم نحو النص ، د/طاهر محمد شبانة ص ٥٩٦ ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، ج٥ عدد ٣١ ، ١٤٣٣هـ . ٢٠١٢م.

الموضع الرابع : سورة آل عمران الآية رقم (١٦١)

قال تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » .

تتحدث هذه الآية عن التحذير من الغلول [١] الذي ينعدم بسببه نصر الله تعالى للمؤمنين، وإعانته لهم ، ولذا فقد جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى : ((إن ينصركم الله فلا غالب لكم)) ، فإنه ((لما كان الغلول من أعظم موجبات الخذلان أو أعظمها ، والنزاهة عنه من أعظم موجبات النصر ، كان أنسب الأشياء تعقيب هذه الآية بآية الغلول بيانًا)) [٢] و((يعضد ذلك أنَّ سبب هزيمتهم يوم أحد هو تعجلهم إلى أخذ الغنائم)) [٣] .

وعند التأمل في الآية التي معنا نجد أنها قد نادت على فاصلتها ، وجاءت فاصلتها متناسبة معها ، ومتآلفة مع دلالتها ، فقد تصدرت الآية بقوله تعالى : (وما كان لنبي أن يغل) لتنفي بأسلوب قاطع حدوث الغلول من الأنبياء قاطبة، ولينسحب هذا الحكم على غيرهم ، فـ ((تخصيص النبي بذلك وإن كان لا يجوز أن يغل غيره من إمام أو أمير إما لعظم خيانته أو لأنه القائم بأمر الغنائم فإذا حرمت الخيانة عليه ، وهو صاحب الأمر فحرمتها على غيره أولى)[٤] ثم تستأنف الآية معنًى جديدًا تتوعد من خلاله من يغل بقوله تعالى : (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) وتقوم هذه الجملة على أسلوب الشرط الذي يحكم من التماسك بين أركانها ، ويجعل مضمونها يتجسد بقوة وبكامل ظلاله في ذهن المتلقي ، ومن ثم فقد تأكد له أنَّ من يغل يأت يوم القيامة حاملًا ما أخذه تبشيعًا لحاله ، وتفظيعًا لمآله ، لاسيما وأنَّ جواب الشرط (يأت) يرسم له صورة بصرية ترصد هيأته وهو يحمل ما غله يوم القيامة كشاهد على فعلته النكراء التي يستحق بها الخزي والوبال، ثم تؤكد الآية حصول الجزاء على جميع الأعمال ومنها الغلول بقوله تعالى : (ثم توفى كل نفس ما كسبت) ((أي تعطي كل نفس مكلفة جزاء ما عملت من خير أو شر تامًا وافيًا ، ففي الكلام مضاف محذوف ، أو أنه أقيم المكسوب مقام جزائه ، وفي تعليق التوفية بكل مكسوب مع أنَّ المقصود بيان حال الغال عند إتيانه بما غل يوم القيامة من الدلالة على فخامة شأن اليوم ، والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى ، فإنه إذا كان كل كاسب مجزيا بعمله لا ينقص منه شيء ، وإن كان جرمه في غاية القلة والحقارة ، فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى ، وهذا سبب العدول عما يقتضيه الظاهر من نحو ثم يوفى ما كسب لأنه اللائق بما قبله))[٥] .

---

(١) الغلول : أصل الغل : الأخذ بخفية ، ولذا استعمل في السرقة ثم خص في اللغة بالسرقة من المغنم قبل القسمة ، روح المعاني ج ٤ ص ١٠٨ .

(٢) نظم الدرر ، ج ٥ ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٣) التحرير والتنوير ج٤ ، ص١٥٤.

(٤) روح المعاني ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .

(٥) روح المعاني ج ٤ ص ١١١ .

وقد آثر النظم القرآني حرف العطف (ثم) المفيد للترتيب والتراخي ((للدلالة على طول مهلة التفضيح)) [١] أي لأن السياق يسير في ركاب تحريم الغلول الذي هو خيانة وسرقة ، جاءت "ثم" لتطيل مشهد الغال الذي يحمل فيه ما غله ، أو نهبه وأخذه خلسة ، وهو نوع من العذاب النفسي يحاصر الغال ، ويملأ عليه أقطار نفسه ، إمعانا في إذلاله بفعلته ، قبل أن يلقى الجزاء الأليم الذي يكون بعد أن توفى كل نفس جزاء ما كسبت ، كما أنَّ إيثار التعبير بصيغة المبني لما لم يسم فاعله (توفى) فيه ((إظهار لعظمة الله عز وجل على طريقة كلام القادرين))[٢] ، وصيغة المضارع تستحضر صورة التوفية للجزاء على العمل ، وتمثلها بوقعها ، وتطبعها بظلالها أمام المتلقي ، ويمكن أن يفسر إيثار(كسبت) هنا دون (عملت) بأن الأولى تتناسب مع حال الغال الحريص على أخذ ما ليس حقه ، ولذا فهو يتحراه ، ويحتشد له ، ويتحايل ويجتهد في الظفر به .

وتأتي الفاصلة (وهم لا يظلمون) بزخمها الدلالي المنبثق من واو الحال وضمير الغائب (هم) ولا النافية ، والفعل المنفي المبني لما لم يسم فاعله (تظلمون) ، والإطلاق في النفي ، لتؤكد مضمون جملة (ثم توفى كل نفس ما كسبت) وتعمق عدل الله المطلق ، وانعدام وقوع ظلم على أي نفس ، وأنَّ ما سيلقاه الغال من العذاب الأليم ما هو إلا جزاءٌ عادل ، وحسابٌ مناسب لجرمه الذي ارتكبه.

كما أنَّ مجيء كلمة الفاصلة مختومة بالنون المسبوقة بالمد جعلها متوافقة إيقاعيًا مع كلمات الفواصل المجاورة لها .

وهذه الفاصلة في هذا السياق توحي بأن صنيع الله يغاير صنيع البشر، فإذا كان البشر يظلمون أنفسهم من خلال الإغالة التي تعد ظلما للنفس بتحميلها ما لا تطيقه يوم القيامة ، وإن انتفعت به في الدنيا ، أو يظلمون غيرهم بسطوهم على حقوق غيرهم ، والتعدي عليها ، نقول إذا كانت هذه طبيعة البشر فإن الله عز وجل لا يظلم ، ولا يحاسب إلا بالعدل المطلق الذي تأخذ به كل نفس حقها تامًا مستوفيًا .

***

(١) التحرير والتنوير ج٤ ، ص ١٥٦.
(٢) نظم الدرر ، ج٥ ، ص ١١٣ .

الموضع الخامس : سورة الأنعام الآية رقم (١٦٠)

قال تعالى : ((مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠))

وردت هذه الآية في أواخر سورة الأنعام ، وقد أتت بدلالتها على الثواب والجزاء مرتبطة مع ما تحدثت عنه السورة والتي يدور غرضها الأساسي حول ((إقامة الحجة على الكفار بنقض عقائدهم الباطلة ، وتقرير العقيدة الصحيحة بالأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والحجج المتنوعة)) [١] ، ومن ثم جاءت هذه الآية لتكشف عن الثواب الجزيل لمن أطاع ، والعقاب المكافئ لمن عصى ، فهي ((استئناف مبين لمقادير أجزية العاملين)) [٢] ، والمراد بالحسنة((الخصلة الواحدة من خصال الطاعة أي خصلة كانت وقيل التوحيد)) [٣] ، وبالمقابل يكون المراد بالسيئة الخصلة الواحدة من خصال المعصية أو الكفر .

وقد آثر النظم القرآني في بناء هذه الآية عددًا من الأساليب التعبيرية جعلها في غاية الإحكام والتماسك ، كما جاءت فاصلتها متناسبة معها . فقد اعتمدت الآية على جملتي شرط جعلاها في غاية الترابط ، ونهاية التلاحم، وعملتا في الوقت نفسه على جذب انتباه المتلقي لمعرفة الجزاء بعد أن يطرق الشرط مسامعه في كل مرة ، لاسيما وأنَّ الواو العاطفة بين الجملتين عمقت من إحكام الترابط بين الجملتين من ناحية ، وأسرعت . من ناحية أخرى . من إدراكه ووقوفه على ما بينهما من مخالفة وتقابل ، وكذلك التكرار الذي انتصبت عليه كل جملة شرطية منهما بـ(من جاء) ، والطباق بين (الحسنة) في الجملة الأولى ، و(السيئة) في الجملة الثانية ، ودلالة الكثرة (عشرة أمثالها) في مقابل الإفراد في (مثلها) والذي جاء بالنفي والاستثناء ((للاهتمام بجانب نفي الزيادة على المماثلة)) [٤] ، كل هذا شد المتلقي نحو الآية ، وأوقفه على البون الشاسع بين ثواب الحسنة ، وجزاء السيئة ، وتأتي الفاصلة (وهم لا يظلمون) لتكمل من إحكام الآية ، وتتمم ما فيها من تناسب، إذ تنفي حصول ظلم لأي من الفريقين ينقص من الثواب ، أو يزيد عليهم في العقاب .

ووجه التناسب بين نفي الظلم على إطلاقه وبين ما قبله هنا ، أنه يُثَبِت نفوس المحسنين ، ويربض على قلوبهم بعدم الإنقاص من ثواب إحسانهم ، كما أنه يوقف المسيئين على عدل الله تعالى ، ورأفته بهم بعدم الزيادة في عقابهم .

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، المجلد الثاني ص ٣٩٦ ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، بإشراف أ.د / مصطفى مسلم ، جامعة الشارقة ، ط١ ، ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م .

(٢) روح المعاني ج ٨ ص ٦٨ .

(٣) السابق ص٦٨،وقال ابن عطية : "وقالت فرقة : ذلك لفظ عام في جميع الحسنات والسيئات ، وهذا هو الظاهر " ، ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي ، ص ٦٨٠ ، دار ابن حزم بدون.

(٤) ينظر التحرير والتنوير ، ج٨ ، ص١٩٦ .

هذا وقد خالف ابن عاشور غالبية المفسرين[١] في شمولية نفي الظلم في الفاصلة للفريقين ، وجعل الفاصلة معطوفة على الجملة الثانية (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) ، أي قصر العطف على جانب المسيئين فقط قائلًا : ((والضمير يعود إلى (من جاء بالسيئة) إظهارًا للعدل ، فلذلك سجل الله عليهم بأن هذا لا ظلم فيه لينصفوا من أنفسهم ، وأمَّا عَدَّ عود الضمير إلى الفريقين فلا يناسب فريق أصحاب الحسنات، لأنه لا يحسن أن يقال للذي أكرم وأفيض عليه إنه غير مظلوم)) [٢] .

والبحث يتفق مع ما ذهب إليه المفسرون من شمولية النفي للفريقين ، ولا يميل إلى رأي "الطاهر"، والذي يمكن أن يرد عليه بأمرين :

الأول : يحتمل أن يكون المقصود بعدم الظلم في جانب المحسنين هو عدم إنقاصهم الثواب الجزيل الذي وعدهم الله به ، وأعده لهم ، فالتنبيه على عدم الظلم في جانبهم هو من باب تأكيد الفضل ، والإمعان في تحقيق الثواب العظيم الذي يزيد به القلوب تبيتًا ، وطمعًا في الحسنات ، وتحفيزًا عليها، فالمعنى ((أنهم لا ينقصون في الحسنات من عشر أمثالها)) [٣] ، على أنَّ التقيد بالعشرة هنا ليس لأنه نهاية الفضل ، بل ((لأنه أقل مراتب التضعيف، وإلا فالجزاء لا يحصى)) [٤] ، والله عز وجل ((قد وعد بالواحد سبعمائة ، ووعد ثوابًا بغير حساب))[٥].

الآخر: أنَّ نفي عدم تحقق الفضل الكثير الذي وعد الله به مما يليق بجلال الله تعالى وقدرته ، ونظير ذلك في التأكيد على الجلال والقدرة أنه نفى الظلم عن نفسه بقوله:

---

(١) دار أغلب المفسرين على أنَّ الضمير يشمل الفريقين ، والمعنى لا ينقص من ثواب المحسنين ، ولا يزاد على عقاب المسيئين ، ينظر ذلك على سبيل المثال لا الحصر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ج٣ ص ٢٠٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان . وتفسير الكشاف ص ٣٥٤ ، وروح المعاني ج ٨ ص ٦٩ ، والبقاعي ج ٧ ص ٣٣٧ ، وتفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للإمام محمد الرازي فخر الدين ، ج ١٤ ص ١١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١م .

هذا وممن رأيته قد سبق "ابن عاشور" في هذا الرأي الإمام الطبراني إذ يقول : في تفسيره لقوله تعالى : (وهم لا يظلمون) (بالزيادة على مقدار ما يستحقون من العقاب ، وإنما قال ذلك لأن الفضل بالنعم جائز ، والابتداء بالعقاب لا يجوز) ، ينظر التفسير الكبير ، تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ العلامة أبي سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، ج٣ ص ١١٠ ، دار الكتاب الثقافي، الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٨م .

(٢) التحرير والتنوير ج٨ ، ص ١٩٨ .

(٣) روح المعاني ج ٨ ص ٦٩ .

(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين درويش ج٣ ، ص ٢٨٦ ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٣، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .

(٥) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ص ٣٥٤ ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ط٣ ، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م .

((وما ربك بظلام للعبيد))[١] ، بهذه القوة اللفظية في إيثار صيغة المبالغة (ظلَّام) مع أنه ليس بظالم أصلًا [٢]

الموضع السادس : سورة الأنفال الآية رقم (٦٠)

قال تعالى : « وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » .

تأتي هذه الآية لتحث المؤمنين على ضرورة الاستعداد بالقوة ، وكل ما يلزمها من أدوات وأسلحة ومن خيل مرابطة مُعَّدة للحرب حتى تُبعث الرهبة في نفوس (كفار مكة ، وغيرهم من اليهود أو المنافقون أو الفرس والذين لا يعرفهم المؤمنون ولكن الله يعرفهم) [٣] .

ولما (كان إعداد القوة يستدعي إنفاقًا وبذلًا ، وكانت النفوس شحيحة بالمال، فقد تكفل الله للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه ، والإثابة عليه) [٤] فقال تعالى . مشجعًا عليه ومرغبًا فيه . « وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » .

وجاءت الفاصلة « وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » متناسبة مع آيتها ، إذ تنفي وقوع ظلمٍ على المنفقين بنقص ثواب إنفاقهم ، كما أنها أتت معمقة لمضمون جملة الشرط قبلها « وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ » بما حققته جملة الشرط للأسلوب من إحكام ترابط عاد على المعنى فانعكس عليه هذا الترابط ، ومن ثم فقد تأكد للمتلقي قوة التلازم بين الإنفاق لأي شيء في سبيل الله وبين التوفية التامة عليه . وهذا ما يبعث في قلب المؤمن المنفق اليقين الثابت بعدم ضياع ثواب ما أنفقه ، بل يتأكد أنه سيوفاه تامًا كاملًا ، ومن ثم فقد جاءت الفاصلة إثر هذه الجملة لتضاعف من تأكيد توفية الثواب على الإنفاق بتقرير عدم وقوع ظلمٍ عليهم بنقص شيء من هذا الثواب البالغ النهاية في التمام والكمال .

هذا وقد احتوت الجملة الشرطية على عناصر أسلوبية تآزرت مع معناها في الترغيب على الإنفاق ، والحث عليه ، وضاعفت في الوقت ذاته من فاعلية الفاصلة في تأكيد هذا الترغيب، فالفاصلة بمنزلة التذييل الذي يقرر مضمونها ، وكل تصعيد في دلالات الجملة الشرطية على الحث والتشجيع يقابله تصعيد آخر من الفاصلة في هذا الحث والتشجيع أيضًا ، والفارق بينهما أنَّ الشرط حث بالإثبات ، والفاصلة حثٌ بالنفي، ويرتقي النفي درجة ، لأنه أبلغ وآكد في تأكيد انتفاء الشيء ، وإثبات نقيضه . وهو هنا العدل المطلق المشتمل على التوفية الكاملة للثواب . من ناحية أخرى .

وعلى هذا فقد اشتملت الجملة الشرطية على

---

(١) سورة فصلت جزء من آية ٤٦ .

(٢) ينظر في ذلك رسالة التقييد بالنفي في القرآن الكريم ، ياسر بن محمد بابطين ، ص ١٥٦ . ١٦٣ ، رسالة ماجستير في البلاغة والنقد كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ١٤٢٥هـ .

(٣) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل ، وأسرار التأويل ، تحقيق / محمد صبحي بن حسن ، د/ محمود أحمد الأطرش ، المجلد الثاني ص ٢٨ ، دار الرشيد ، ط١ ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م .

(٤) التحرير والتنوير ج ١٠ ، ص ٥٨ .

النكرة (شيء) لتفيد التقليل مع العموم والشمول، فأي شيء من النفقة ولو كان قليلًا سيثاب عليه المنفق ويوفى جزاؤه له على أكمل وجه ، كما اشتملت على الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله تعالى : « فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ » إذ استعار السبيل (الطريق) ، لـ ((وجوه الخير والطاعة، ويدخل في ذلك النفقة في الإعداد السابق ، والجهاد دخولًا أوليًا ، وبعضهم خصص اعتبارًا للمقام)) [١] أي جعل الاستعارة خاصة بالجهاد فقط [٢] ، تعويلًا على السياق .

والأقرب أن تكون الاستعارة للجهاد دون وجوه الخير والطاعة عمومًا ، وذلك باعتبار السياق كما تقدم ، وكذلك ورود كلمة (شيء) هنا والتي تنسجم أكثر مع أدوات الحرب ، وعدتها ، ووسائلها المختلفة ، وما إلى ذلك مما يقوي جيش المؤمنين ، ويزيد من عتادهم ومنعتهم ، وهذا يتضح لنا من خلال النظر إلى آية سورة البقرة التي تقدمت في الموضع الأول من هذا البحث ، والتي جاء .كما مر بنا . الإنفاق فيها مقيدًا بقوله تعالى : « مِنْ خَيْرٍ » والتي كانت أنسب هناك باعتبار أن المقام مقام حث على الإنفاق على عمومه وشموله . فالأصل فيه أن يكون من خير . ويدخل فيه الجهاد وغيره من أبواب الإنفاق الأخرى كذلك ، أما هنا فكلمة (شيء) تجعل (السبيل) هو الجهاد فقط من باب أولى .

(١) روح المعاني ، ج ١٠ ص ٢٧ .

(٢) وهذا ما اختاره ابن عاشور قائلا : (فسبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمته) ، التحرير والتنوير ج ١٠ ص ٥٧ .

وهذه الاستعارة جعلت الإنفاق للجهاد بمنزلة الطريق الذي يسلكه الإنسان، ويسير عليه ، ليصل من خلاله إلى وجهته ، وهذا يعكس مدى وضوح طريق الجهاد الذي شرعه الله تعالى لبث الرهبة في قلوب أعدائه ، وهذا في النهاية مما يمعن في التشجيع على الإنفاق ، والحث عليه.

ومعنى قوله تعالى : « يُوَفَّ إِلَيْكُمْ » ((أي يؤدَى بتمامه والمراد يؤدي إليكم جزاؤه ، فالكلام على تقدير المضاف أو التجوز في الإسناد)) [٣] وهذا التفسير وضحه ابن عاشور بقوله : ((وتعدية التوفية إلى الإنفاق بطريق بناء الفعل للنائب، وإنما الذي يوفى هو الجزاء على الإنفاق في سبيل الله ، للإشارة إلى أنَّ الموفَّى هو الثواب ، والتوفية تكون على قدر الإنفاق وأنها مثله ، كما يقال : وفَّاه دينه ، وإنما وفَّاه مماثلًا لدينه ، وقريب منه قولهم : قضى صلاة الظهر ، وإنما قضى صلاة بمقدارها ، فالإسناد: إما مجاز عقلي ، أو هو مجاز بالحذف)) [٤] .

(٣) روح المعاني ج ١٠ ص ٢٧ .

(٤) التحرير والتنوير ، ج ١٠ ص ٥٨ ، على أنَّ الطاهر ذهب في هذا الموضع إلى أنَّ التوفية استعارة مكنية عن الجزاء ، يقول : ((والتوفية : أداء الحق كاملا ، جعل الله ذلك الإنفاق كالقرض لله ، وجعل على الإنفاق جزاء ، فسمى جزاءه توفية على طريقة الاستعارة المكنية)) ج١٠ ص ٥٨ ، والأولى أن تعد التوفية حقيقة ، لأن التوفية فيها معنى الجزاء الكامل، بخلاف الجزاء الذي يعني المكافأة ، والدليل على أنَّ التوفية فيها معنى الجزاء الكامل بخلاف الجزاء فقط قوله تعالى ((ثم يجزاه الجزاء الأوفى)) سورة النجم

أما عن الخصائص الأسلوبية للفاصلة والتي ساعدت في تعميق تناسبها مع آيتها فواضح أنَّ بناءها جاء مشابهًا لبناء الفاصلة في آية سورة البقرة الواردة في الموضع الأول من هذه الدراسة ، إذ كان السياق فيها هو الحث على الإنفاق كذلك ، ومن ثم فإن الدلالات التي أشرنا إليها سابقًا من بلاغة واو الحال ، وضمير الخطاب أنتم ، وأداة النفي (لا) ، والفعل المنفي (تظلمون) ، تنعكس كذلك على الفاصلة هنا .

***

الموضع السابع : سورة يونس الآية رقم (٤٧) قال تعالى : « وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» . تأتي هذه الآية في سياق الحديث عن التهديد للكافرين والعاصين بعد أن تقام الحجة عليهم بمجيء الرسول إليهم ، إذ يُقضي بينهم حينئذٍ بالقسط وهم لا يظلمون [١] .

---

(٤١) ، فوصف الله تعالى الجزء بالأوفى أي المستوفى المستكمل، وعلى افتراض أنها استعارة فهي استعارة تصريحية وليست مكنية .

(١) وقد اختُلف في زمن مجيء الرسول فجعله بعض المفسرين محتملًا بين الآخرة والدنيا ، يقول ابن عطيه : ((المعنى فإذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم صُيِّر قومٌ للجنة وقومٌ للنار ، فذلك القضاء بينهم بالقسط ، وقيل المعنى : فإذا جاء رسولهم في الدنيا وبعث صاروا من حتم الله بالعذاب لقوم والمغفرة لآخرين لغاياتهم فذلك قضاء بينهم بالقسط)) ، المحرر الوجيز ص ٩١٢، وجعل صاحب نظم الدرر الزمن تابعًا لأحوال الأمم يقول بعد تحليله للآية الأولى : (إما نرينك ....) ولما كان في هذه الآية التهديد بالعذاب إما في الدنيا أو في الآخرة غير معين له صلى الله عليه وسلم واحدة منها ، أتبعها بما هو صالح للأمرين بالنسبة إلى كل رسول إشارة إلى أنَّ أحوال الأمم على غير نظام فلذلك لم يجزم بتعيين واحدة من الدارين للجزاء ، وجعل الأمر منوطًا بالقسط ، ففي أي دار كان أحكم جعله فيها)) ج ٩ ، ص ١٣٣ ، وحصره الزمخشري في الآخرة قائلًا : ((ولكل امة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعي به ، فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان)) الكشاف ص ٤٦٥ ، وحصره ابن عاشور في الدنيا قائلًا : ((والمعنى أنَّ الله يمهل الأمة على ما هي فيه من الضلال فإذا أرسل إليها رسولًا فإرساله أمارة على أنَّ الله تعالى أراد إقلاعهم عن الضلال فانتهى أمد الإهمال بإبلاغ الرسول إليهم مراد الله منهم

وقد ظهرت الآية منذ بدايتها بتركيبها الأسلوبي ، وإيقاعها السريع المتلاحق، وكأنها تنادي على الفاصلة التي كانت بدورها هي الأخرى متناسبة معها ، ومؤكدة للقسط والعدل الذي يشمل كل أمة جاء رسولها إليها.

فقد تصدرت بقوله تعالى : « وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ » بتقديم المسند (ولكل أمة) على المسند إليه (رسول) لإفادة القصر ، وهذا يؤكد إرسال رسول لكل أمة من الأمم ليقيم الحجة عليها ، سواءٌ أريد جميع الأمم على رأي (الرازي) [1] ، أو أريد الأمم ذوات الشرائع فقط على رأي (ابن عاشور)[2].

ثم تأتي الجملة الشرطية : « فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ » معطوفة على الجملة السابقة لتؤكد حتمية ترتب القضاء العادل بين الرسول وأمته على مجيئه إليهم ، ثم تجيء الفاصلة (وهم لا يظلمون) لتؤكد معنى القضاء العادل بين الرسول وأمته ، بما تقرره من نفي الظلم عن الأمم ، ذلك أنَّ نفي الظلم ما هو إلا تأكيد للتصريح بالقسط في القضاء ، والعدل فيه.

***

فإن أطاعوه رضى الله عنهم وربحوا ، وإن عصوه وشاقوه قضى الله بين الجميع بجزاء كل قضاء حق لا ظلم فيه وهو قضاء الدنيا)) التحرير والتنوير ج ١١ ص ١٨٨ .

(١) إذ يقول : (إنَّ كل جماعة ممن تقدم قد بعث الله إليهم رسولًا ، والله تعالى ما أهمل أمة من الأمم قط ، ويتأكد هذا بقوله تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) مفاتيح الغيب ، ج ١٧ ص ١١١ ، بتصرف يسير ، وقد أتبع الرازي نصه السابق بافتراض اعتراض ثم أجاب عليه ، إذ يقول : ((فإن قيل : كيف يصح هذا مع ما يعلمه من أحوال الفترة ومع قوله سبحانه : (لتنذر قومًا ما انذر آباؤهم) ، قلنا الدليل الذي ذكرناه لا يوجب أن يكون الرسول حاضرًا مع القوم، لأن تقدُّم الرسول لا يمنع من كونه رسولًا إليهم ، كما لا يمنع تقدم رسولنا من كونه مبعوثًا إلينا إلى آخر الأبد ، وتحمل الفترة على ضعف دعوة الأنبياء ، ووقوع موجبات التخليط فيها)) ، السابق الصفحة نفسها .

(٢) يقول : ((وجملة "لكل أمة رسول" ليست هي المقصود من الإخبار بل هي تمهيد للتفريع المفرع عليها بقوله "فإذا جاء رسولهم" الخ فلذلك لا يؤخذ من الجملة الأولى تعيين أن يرسل رسول لكل أمة ، لأن تعيين الأمة بالزمن أو بالنسب أو بالموطن لا ينضبط ، وقد تخلو قبيلة أو شعب أو عصر أو بلاد عن مجيء رسول فيها ولو كان خلوها زمنًا طويلًا ، وقد قال الله تعالى : (٠لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك)) فالمعنى : ولكل أمة من الأمم ذوات الشرائع رسول معروف جاءها مثل عادٍ وثمود ومدين واليهود والكلدان والمقصود من هذا الكلام ما تفرع عليه من قوله: "فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط" ، التحرير والتنوير ج ١١ ، ص ١٨٧ .

الموضع الثامن : سورة يونس الآية رقم (٥٤) قال تعالى : ((وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٥٤))

تتحدث هذه الآية عن موقف الكافرين الذين ظلموا أنفسهم من العذاب الفادح الذي سيلاقونه يوم القيامة ، (وهي عطف على جملة "إي وربي إنه لحق" في الآية السابقة ((ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين)) ، ومن ثم فالآية التي معنا من بقية القول ، وهي إعلامٌ لهم بهول ذلك العذاب عساهم أن يحذروه ، ولذلك حذف المتعلق الثاني لفعل (افتدت) لأنه يقتضي مفديًا به ومفديًا منه ، أي لافتدت به من العذاب) [١].

وقد أبانت هذه الآية عن موقف الكافرين من هذا العذاب الأليم من خلال صورتين الأولى قوله تعالى : ((ولو أنَّ لكل نفسٍ ظلمت ما في الأرض لافتدت به)) ، إذ تصور ((أنَّ هذا العذاب لا تتحمله أية نفس على تفاوت الأنفس في احتمال الآلام)) [٢] ، ومجيء هذه الجملة في ثوب أسلوب الشرط المبني على (لو) الشرطية الإقناعية دلَّ على شدة تشبثهم بأي شيء يفتدوا به أنفسهم من هول هذا العذاب حتى ولو كان ممتنعًا عليهم ، وخارج نطاق قدرتهم .

والأخرى قوله تعالى : ((وأسروا الندامة لما رأوا العذاب)) أي ((أنهم دهشوا لرؤية مالم يكونوا يحتسبون فلم يطيقوا صراخًا ولا عويلًا))[٣] .

وبعد الكشف عن موقف الكافرين من فداحة العذاب تؤكد الآية أنَّ القسط هو سمت القضاء بينهم في ذلك اليوم من خلال قوله تعالى : (وقضى بينهم بالقسط) بهذا البناء المؤكد من بناء الفعل لما لم يسم فاعله مع ماضويته ((تنبيهًا على تحقيق وقوعه حتى كأنه قد مضى)) [٤] .

وتأتي الفاصلة في نهاية الآية (وهم لا يظلمون) لتعلن عن تمام تناسبها مع الآية ، وشدة انسجامها معها ، إذ أتت في ثوب الجملة الحالية لتؤكد أنَّ القضاء بينهم بالقسط متلبسٌ بعدم الظلم المطلق ، وهي بهذا تضيف معنًى جديدًا يوغل في تأكيد الجملة السابقة ، إذ كون القضاء بينهم بالقسط ((لا ينفي وقوع الظلم في وقت آخر)) [٥] لذا جاءت في ثوب الجملة الاسمية لتؤكد انتفاء الظلم على الدوام ، كما أنَّ الفاصلة فيها تبكيت لهم بما تؤكد عليه من أنَّ هذا العذاب الأليم الذي سيلاقونه ما هو إلا عقابٌ عادل ، وجزاءٌ مكافئ لكفرهم وشركهم ، دون أن يظلمهم أحد فما لاقوا إلا جزاء ما جنوا ، وما عوقبوا إلا بجريرة ما اقترفوا ، كما تناسبت كلمة فاصلتها موسيقيًا مع ما يجاورها من كلمات فواصل .

***

(١) التحرير والتنوير ج ١١ ، ص ١٩٧ بتصرف .
(٢) السابق الصفحة نفسها .
(٣) السابق ج١١ ، ص١٩٨ .
(٤)السابق الصفحة نفسها .
(٥) نظم الدرر ج٩ ص ١٤١ .

الموضع التاسع : سورة النحل الآية رقم (١١١) قال تعالى : « يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» .

تأتي هذه الآية في بداية الربع الأخير من سورة (النحل) لتصور حال الخلق يوم القيامة وهم يجادلون عن أنفسهم ، ثم تأخذ كل نفس جزاء ما عملت دون ظلم ، وهي بهذا المعنى تتناسب مع ما قبلها من آيات ، إذ تقدم (كثير من التحذير والتبشير ، وتقدم أنه لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون ، وختم ذلك بانحصار الخسار في الكفار ثم بَيَّن هنا اليوم الذي تظهر فيه تلك الآثار) [١] .

والناظر في نظم الآية يجد أنَّ مفرداتها أتت مصورة لحال الخلق في هذا اليوم في براعة ووضوح ، كما يلاحظ أنَّ فاصلتها جاءت متناسبة معها على أتم وجه وأبلغه.

فقد تصدرت بالظرف (يوم) الذي يلفت الانتباه ببعده الزمني إلى يوم محدد معين ، ثم فسر هذا اليوم بجملة (تأتي كل نفس تجٰدل عن نفسها) فإتيان كل نفس متلبس بهذا اليوم ، وحضورها أمر واقع لاشك فيه ، وإيثار الفعل (تأتي) بدلًا من (تجيء) لأن ((جاء فلان كلام تام لا يحتاج إلى صلة ، وقولك أتى فلان يقتضي مجيئه بشيء)) [٢] ، ومن ثم فهذا الفعل في هذا السياق يصور أنَّ الجدال عن الذات والاحتجاج لها هو دأب كل نفس آتية في هذا اليوم ، بحيث لا تُستثنى نفس منه ، لاسيما وأنَّ هذا المعنى قد تأكد وترسخ من خلال صيغة العموم والشمول المضافة إلى النكرة (كلُ نفس) ، والفعل (تجٰدل) بما فيه من مدافعةٍ يصور احتشاد كل نفس بما أوتيت من قوة وحجج لتبرئ ساحتها من كل ذنبٍ وإثم ، ولتبرهن على صلاحها وطاعتها.

والجار والمجرور (عن نفسها) يرصدان الموقف المفزع الذي ألجأ كل ذات إلى الانشغال بنفسها فقط ، ((والنفس الأول بمعنى الذات والشخص كقوله ((أن النفس بالنفس)) والنفس الثانية ما به الشخص شخص)) [٣] .

ويأتي العدل الإلهي ليجازي كل نفس بما عملت (وتوفى كل نفس ما عملت)، والتوفية . بمعنى إعطاء الحق كاملًا . تقع على الجزاء لا العمل فيكون (ما عملت) من ((إطلاق اسم السبب على المسبب)) [٤] ، على سبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية ، وفائدة المجاز أنه يضع العمل في دائرة الضوء أمام المتلقي ليبادر بالطاعة والاستجابة لله عز وجل .

وآثر النظم لفظة (عملت) دون (كسبت) لتدل على شمولية التوفية لكل الأعمال بتمامها دون أن يُنقص شيءٌ منها .

---

(١) نظم الدرر ، ج ١١ ص ٢٦٢ ، بتصرف .

(٢) الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي ، ص ٢٥٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م

(٣) التحرير والتنوير ج ١٤ ، ص ٣٠٢ .

(٤) روح المعاني ج ١٤ ص ٢٤١ .

وتجئ الفاصلة في ثوب الجملة الحالية (وهم لا يظلمون) لتؤكد معنى التوفية الكاملة للجزاء ، وتعمق من ترسيخ معنى العدل الذي يشملهم في هذا اليوم ، أي ((فحال العباد حين يوفون حسابهم أنهم غير مظلومين))[١]، وبذا فقد جاءت الفاصلة متناسبة مع آيتها ، ومقررة لمضمون ما قبلها، فالفاصلة . بهذا المعنى . تذييل أتى ((للتصريح بمفهوم (وتوفى كل نفس ما عملت) لأن توفية الجزاء على العمل تستلزم كون تلك التوفية عدلًا ، فصرح بهذا اللازم بطريقة نفي ضده ، وهو نفي الظلم عنهم ، وللتنبيه على أنَّ العدل من صفات الله تعالى ، وحصل مع ذلك تأكيد المعنى الأول)) [٢] ، وهذا التذييل أتى "لتأكيد مفهوم "[٣] ، ولاشك أنَّ هذا ((التأكيد على عدل الله . سبحانه وتعالى . في الجزاء يدل على شدة الوعيد للمرتدين ، وعظيم البشارة للمؤمنين)) [٤] .

ومما يعمق من تناسب هذه الفاصلة مع المعنى قبلها ، وتقريرها له هو ضمير الغائب (هم) المتضمن معنى العموم والشمول ، لينسجم بذلك مع دلالة الغياب والعموم والشمول في قوله تعالى : (توفى كل نفس ما عملت)، ثم نفى الظلم على إطلاقه بـ (لا) النافية . بما فيها من عموم وشمول في النفي كذلك . ، لينفي وقوع أي ظلم عليهم من أي نوع كان وهو ما يعني العدل المطلق .

ومن تمام التناسب في هذه الآية اشتمالها على أربعة أفعال مضارعة (تأتي، تجادل ، توفى ، يظلمون) جاء الأولان منهم بصيغة المبني للمعلوم الفاعل فيهما "كل نفس" ، وجاء الآخران بصيغة المبني لما لم يسم فاعله ، وذلك للعلم بالفاعل ، واختصاصه بهذا الفعل ، فهو الذي يوفي كل نفس جزاء ما كسبت، وهو الذي لا يظلم أيًّا من خلقه بزيادة عقاب ، ولا بنقص ثواب .

ودلالة الاستقبال الصادرة من هذه الأفعال تحمل كل نفس على التأمل في هذا المشهد المستقبلي المحقق الوقوع ، وتحفزها على العمل الصالح ، وترك الطالح ، بالإضافة إلى أنَّ هذه الأفعال عملت على بث الحيوية والحركة في أوصال الآية الكريمة .

كما أنَّ الترداد بين (نفس) و (نفسها) ، والتكرار في (كل نفس) أمد الآية بعناصر صوتية متناسقة عمقت من تماسك الآية ، وتمام تناسبها وانسجامها، مما زاد من مرونتها ، ومن ثم كانت أشد انطباعًا وتمكنًا في عقل المتلقي وقلبه ، وكذلك جاءت كلمة الفاصلة (يظلمون) متناسقة صوتيًا مع كلمات الفواصل المجاورة والتي ختمت بنون أو ميم مسبوقتين بحرف مد.

***

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ، سامي وديع عبد الفتاح ، ص ٢٣٣ ، دار الوضاح ، الأردن ، عمان ، بدون.

(٢) التحرير والتنوير ج ١٤، ص ٣٠٣ .

(٣) كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني ، ص ٢٩٥ ، المكتبة الأزهرية ، ١٣٣٠هـ .

(٤) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المباني ، ص٢٣٣.

الموضع العاشر : سورة المؤمنون الآية رقم (٦٢)

قال تعالى : « وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » .

وردت هذه الآية في سياق حديث الله عز وجل عن ((الكفرة المتمردين من أقوامهم ، واختلافهم وتفرقهم في الدين حتى أصبحوا فرقًا وأحزابًا))[١] وذلك من أول قوله تعالى : « فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ » إلى قوله تعالى : « نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ» ، ثم حديثه عز وجل بعد ذلك عن المؤمنين بداية من قوله : « إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ » إلى قوله تعالى : « أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ » ثم جاءت الآية محل الشاهد عقب هذه الآية .

ومن ثم فقوله تعالى : « وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (خبر مراد منه تسجيل التقصير على الذين تقطعوا أمرهم بينهم ، وقطع معذرتهم ، وتيسير الاعتذار على الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، ولمراعاة هذا المعنى عطف قوله : ولدينا كتاب ينطق بالحق ، وهو معنى إحاطة العلم بأحوالهم ونواياهم ، فالكتاب هنا هو الأمر الذي فيه تسجيل الأعمال من حسنات وسيئات ، وفي قوله "لدينا" دلالة على أن ذلك محفوظ لا يستطيع أحد تغييره بزيادة ولا نقصان ، والنطق مستعار للدلالة)[٢] ، للتعبير عن شدة الإفصاح والوضوح .

وتجئ الفاصلة (وهم لا يظلمون) محتملة لأن يكون الضمير فيها ((عائدًا إلى ما عاد إليه ضمير (فتقطعوا أمرهم) وأشباهه من الضمائر ، والاعتماد على قرينة السياق ، وقوله "بل قلوبهم في غمرة من هذا" ، وما بعده من الضمائر ، والظلم على هذا الوجه محمولٌ على ظاهره وهو حرمان الحق والاعتداء)) [٣] ، ويحتمل أن يكون الضمير عائدًا إلى طائفة المؤمنين خاصة وإلى ذلك ذهب الألوسي ، إذ جعل الآية من بدايتها خاصة بالمؤمنين وجرى على ذلك في فاصلتها إذ يقول : ((إنَّ قوله تعالى : (ولا نكلف نفسًا إلا وسعها) . (جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به أولئك المشار إليهم من فعل الطاعات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة ، وقوله تعالى : (وهم لا يظلمون) لبيان فضله عز وجل وعدله في الجزاء على أتم وجه إثر بيان لطفه سبحانه وتعالى في التكليف ، وكتب الأعمال على ما هي عليه))[٤] ، كما ((يجوز أن يكون الضمير عائدًا إلى عموم الأنفس في قوله : "ولا نكلف نفسًا إلا وسعها" والظلم على هذا الوجه مستعملٌ في النقص من الحق [٥] ، فيكون

---

(١) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، المجلد الثاني ، ص ٣١٢ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨١م .

(٢) التحرير والتنوير ج ١٨ ، ص٧٩ بتصرف يسير

(٣) السابق الصفحة نفسها .

(٤) روح المعاني ، ج ١٨ ص ٤٦ .

(٥) على أن المراد بالنقص من الحق حينئذ نقص الحسنات ، والزيادة في السيئات ، لأن الزيادة في

وعيدًا لفريق ، ووعدًا لفريق))[١] ، وهذا الرأي الأخير هو ما رجحه ابن عاشور بقوله : ((وهذا أليق بالإعجاز))[٢] .

والبحث يميل إلى الوجه الثالث الذي جعله ابن عاشور أليق بالإعجاز ، وعليه سار . قبلًا . الإمام البقاعي إذ يقول : (((وهم) أي الخلق كلهم

(لا يظلمون) من ظالمٍ ما بزيادة ولا نقص في عمل ولا جزاء)) [٣] .

وعلى هذا فكل الأنفس مؤمنة وكافرة لا تكلف إلا وسعها ، وكلها ستؤتى الكتاب المحفوظ عند الله ، والذي لا ينطق إلا بالحق ، وكلها لا تظلم ، وهذا مناسب للمقصود من الآية التي أتت تذييلًا لما قبلها من آيات .

فالفاصلة بهذا الشمول فيها ((تهديد وتأنيس من الحيف والظلم)) [٤] فتكون تهديدًا للكافرين بأنهم سيعاقبون على كفرهم وعصيانهم بما عملته أيديهم ، وسجلته صحائفهم دون نقصان من حقهم بزيادة سيئات عليهم لم يفعلوها ، وإيناسًا للمؤمنين المشفقين من خشية ربهم ، فلا ينقص من حسناتهم ، ولا يبخسون شيئًا ، وقد أكد الله عز وجل على شمولية عدم الظلم في آياتٍ عديدة منها في سورة الأنبياء « وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧»

إذن جاءت هذه الفاصلة بهذا الإطلاق لتنفي حصول الظلم من الله تعالى لأي نفس مؤمنة أو كافرة ، وأتت منتظمة في سلك التناسب والتماسك الذي يجري في أوصال الآية والآيات السابقة ؛ فقد وقعت تذييلًا للجملة قبلها (ولدينا كتاب ينطق بالحق) إذ أكدت معنى العدل الذي أكدته هذه الجملة ، والمتمثل في وجود الكتاب الذي ينطق بالحق ، وبما قدمته أيدي العباد دون أن يزيد أو ينقص شيئًا ، وقد ساعدت الواو العاطفة في تعميق معنى الفاصلة في نفس السامع ، ذلك أنها بما فيها من المغايرة تؤذن بتلقي خبرًا جديدًا مخالفًا لما سبق ، فإذا جاء بعد هذا الاستعداد مشتملًا على مفهوم ما سبق ، ومؤكدًا له ، كان ذلك أرسخ لديه وأمكن ، كما عاد الضمير (هم) على (النفس) في قوله تعالى: (ولا نكلف نفسا إلا وسعها) وهذه الجملة تعقيب على ما قبلها من آيات.

واعتماد الفاصلة على النفي بـ (لا) بما فيها من امتداد للصوت ساعد في تأكيد تأبيد النفي ، والفعل المضارع المنفي يظلمون يستحضر هذه الصورة من عدم الظلم من قبل الله عز وجل ، ويرسخ مضمونها في الذهن .

واتسمت كلمة الفاصلة بالتناسق الصوتي مع كلمات الفواصل المجاورة والتي انتهت بالنون والميم المسبوقتين بحرف المد الواو أو الياء .

***

السيئات تعد نقصا من الحق ، وبخسًا له .

(١) التحرير والتنوير ج ١٨، ص ٨٠.

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) نظم الدرر ج ١٣ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ص ١٣٣٤ .

الموضع الحادي عشر : سورة الزمر الآية رقم (٦٩)

قال تعالى : « وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » .

أتت هذه الآية في سياق الحديث عن مشاهد يوم القيامة ، وقد جمعت الآيات في هذا السياق بين((إجمال عظمة القدرة يوم القيامة إلى تفصيلها لما فيه من تهويل وتمثيل لمجموع الأحوال يومئذٍ مما ينذر الكافر ويبشر المؤمن ، ويذكر بإقامة العدل والحق ، ثم تمثيل إزجاء المشركين إلى جهنم، وسوق المؤمنين إلى الجنة))[١].

وقد اتسمت الفاصلة (وهم لا يظلمون) بتمام التناسب ، وكمال التناسق مع آيتها ، إذ جاءت لتعمق معنى العدل والحق الذي يجري في أوصال الآية من بدايتها ، ذلك أنَّ الآية تصدرت بإقرارهما من خلال قوله تعالى : (وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) فالنور هنا استعارة للعدل والحق [٢] ، اللذين يعمان الآفاق ، ويشملان الجميع في هذا اليوم ، ومن خلال التأكيد على إحضار الكتب الناطقة بأعمال الخلق ، والمجيء بالنبيين الذين أرسلوا إليهم، والشهداء من الملائكة والحفظة الذين كانوا يوثقون أعمالهم ، ويقيدونها[٣]، ثم قوله تعالى : « وَقُضِيَ بَيْنَهُم بالحَقِّ » والذي يصرح بإقامة العدل وتحققه ، ولذا تجئ الفاصلة « وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » لتصرح هي الأخرى بمقابل المفهوم من الجملة السابقة ، وتؤكد نفي الظلم ، وتقرر استحالته وانعدامه .

والفاصلة على ذلك متمكنة من آيتها ، وقارة في موطنها ، إذ ارتبط معناها بالمعنى قبلها ، وعمقته في تناسب وتوافق .

ومما يضاعف من تناسب الفاصلة هنا أنها جاءت بمنزلة الختام المحكم لإيقاع الآية المتسلسل في انسجام وترابط ، إذ جاءت الآية معتمدة على الإيقاع السريع المتلاحق القائم على أربعة أفعال ماضية تؤذن بتحقق الحدث، وكمال وقوعه ، ثم واو العطف التي تكررت خمس مرات لتعمق من هذا التلاحق والتتابع ، وتزيد من معاني الحسم في رصد وقائع هذا المشهد ، ثم تأتي الفاصلة (وهم لا يظلمون) بهذه الفخامة في التركيب ، والإطلاق في النفي، وبهذا البطء في الإيقاع الناتج من تسكين الميم

---

(١) التحرير والتنوير ج ٢٤ ، ص٦٤.

(٢) الكشاف ج٢٤ ص ٩٤٨ ، ويرى ابن عاشور أنها من قبيل الكناية بدلالة الالتزام لأن جعل النور استعارة للعدل يقلل من دلالته على الشمول لأحوال الحق والكمال وخلوص تلك الأرض من ظلمات الأعمال ، وأن العدل فقط يغني عنه قوله تعالى : "وقضى بينهم بالحق وهو لا يظلمون" ، التحرير والتنوير ج ٢٤ ص ٦٧ .
وسواءٌ أكانت لفظة النور استعارة أو كناية فإن مفهوم العدل والحق متحقق في الجملة ، وهو ما يهم البحث المعنى بالتناسب .

(٣) ذكر الرازي في مفاتيح الغيب تفسيرات أخرى للمقصود من الكتاب ، والشهداء ينظر ج ٢٧ ، ص ٢١ .

في الضمير (هم) ، والمد في (لا) ، و(يظلمون) لتجعل القارئ يتمهل لتنطبع دلالتها في عقله ، وتترسخ في ذهنه .

لاسيما وأنَّ كلمة الفاصلة ختمت بالواو والنون لتتوافق بذلك موسيقيًا مع كلمات الفواصل المجاورة ، مما عمل على تعميق الانسجام الصوتي بين الآيات ، فضلًا عن شدة تآلف هذا الإيقاع مع المعنى الذي تصوره الآيات فـ ((ما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى ، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه ، بما ليس وراءه في العجب مذهب)) [١] .

ومجيء الفاصلة في ثوب الجملة الحالية المصدرة بالواو عمل على زيادة تعلقها بالجملة قبلها ، وإن كانت الواو تجعلها وكأنها استئناف لإثبات معنى جديد ، إلا أنَّ الارتباط الزمني بينهما بحكم واو الحال يجعل الفاصلة لا تبعد عنها كثيرًا بل تدور في فلكها ، وتحلق في سمائها ، وهذا ما يجعل نفي الظلم عن الله مؤكدًا لإقامة القضاء بالحق ، بعد أن تأكد قبلًا إقامة العدل والحق في هذا المشهد ، ومنذ بداية الآية ، وعلى امتدادها .

***

الموضع الثاني عشر : سورة الجاثية الآية رقم (٢١- ٢٢)

قال تعالى : « أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ * وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ »

لما أنكرت الآية الأولى التسوية بين الذين عملوا السيئات ، والذين ءامنوا وعملوا الصالحات في المحيا والممات ، وذمت الذين اجترحوا السيئات على الحكم بهذه التسوية ، أتبع ذلك الدليل القطعي على أنَّ الفريقين لا يستويان . وإلا لما كان الخالق لهذا الوجود عزيزًا ولا حكيمًا . وهو خلق الله السموات والأرض بالحق ، ومن ثم فقد عطف على ما تقديره : فقد خلق الله الناس كلهم بالحق ، وهو الأمر الثابت الذي يطابقه الواقع وهو تبات أعمال المحسنين ، وبطلان أفعال المسيئين . عطف عليه [٢] . قوله تعالى : « وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ» .

والناظر في الآية الكريمة يجد أنها قد سيطر عليها التناسب بين أجزائها ، وأنَّ فاصلتها كانت متممة لحبات عقد هذا التناسب المحكم .

إذ ابتدأت بالتأكيد على خلق الله للسموات والأرض بالحق ، وقد ظهر هذا التأكيد من خلال الفعل الماضي (خلق) بما يفيده من تحقيق الوقوع ، وحصول الحدث ، ومن خلال (الباء) الداخلة على (الحق) والتي تفيد

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ص ٢٥٥ ، دار مصر للطباعة .

(٢) نظم الدرر ج ١٨ ص ٩١ ، بتصرف ،

((السببية أو الملابسة ، أي خلقًا للسبب الحق أو ملابسًا للحق لا يتخلف الحق عن حال من أحواله)) [١] ، ثم عطف جملة (لتجزى كل نفس بما كسبت) على (بالحق) ((لأن المعطوف عليه المجرور بالياء فيه معنى التعليل ، وهذا تفصيل بعد إجمال فإن الجزاء على الفعل بما يناسبه هو من الحق ، ولأن تعليل الخلق بعلة الجزاء من تفصيل معنى الحق ، وآثار كون الحق سببًا لخلق السموات والأرض ، أو ملابسًا لأحوال خلقهما ، فظهرت المناسبة بين الباء في المعطوف عليه واللام في المعطوف)) [٢] ، ثم تأتي الفاصلة (وهم لا يظلمون) ، بهذا الإطلاق لتؤكد عدل الله عز وجل في مجازاة كل نفس ، ولتنفي وقوع أي ظلم عليها ، فلا تظلم ((بنقص ثواب وتضعيف عذاب)) [٣] ، ونفي الظلم هذا مفهوم الجملة السابقة ، (ولتجزي كل نفس بما كسبت) أي تحاسب بما قدمته من أعمال في حياتها ، ويكون الجزاء مماثلًا للذي كسبته ومُكافئًا له ، دون نقص أو زيادة ، و((لما كان السياق للعموم ، وكان المؤمن لا يجزى إلا بما عمله على عمدٍ منه وقصد ليكتب في أعماله عبر بالكسب الذي هو أخص من العمل))[٤] ، وقيام هذه الفاصلة على الجملة الحالية المصدرة بالواو عمق من التناسب بينها وبين ما قبلها ، إذ جعلت الارتباط بين جزاء كل نفس بما كسبت ونفي الظلم عنها محققًا في وقت واحد ، وهو ما يعمق ويؤكد دلالة الحق الذي كان سببًا في خلق السموات والأرض ، ومن أول مظاهر هذا الحق هو إقامة العدل .

وهي تمكين اختتمت به الآية لأنها جاءت متوافقة مع ما ابتدأت به الآية من خلق السموات والأرض بالحق ، ثم المجازاة القائمة على المماثلة بالحق ، ثم نفى الظلم بما يعد إقامة للحق والعدل كذلك ، واختتمت كلمة الفاصلة بالواو والنون لتتوافق صوتيًا بذلك مع كلمات الفواصل المجاورة لها .

وتسمية نفي الظلم عن الله تعالى ((ظلمًا مع أنه ليس كذلك لأنه منه سبحانه تصرف في ملكه والظلم تصرف في ملك الغير بغير إذنه ، لأنه لو فعله غيره عز وجل كان ظلمًا ، فالكلام على الاستعارة التمثيلية أو أنه لما كان مخالفًا لوعده سبحانه الحق سماه تعالى ظلمًا)) [٥] .

***

(١) التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣٥٦ .
(٢) التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ٣٥٦ .
(٣) روح المعاني ج ٢٥ ، ص ١٥١ .
(٤) نظم الدرر ، ج ١٨ ، ص ٩٢ ، ٩٣ .
(٥) السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

الموضع الثالث عشر : سورة الأحقاف الآية رقم (١٩)

قال تعالى : « وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ» .

تتحدث الآية عن الفريقين المذكورين . قبل ذلك . في قوله تعالى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣» ، وقوله تعالى : « وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ ..... ١٧ » ، وما عطف عليهما[١] .

وجاءت هذه الآية لتكشف عن درجات كل فريق من الفريقين ، المترتبة على أعمالهم التي قدموها ، وتوفيتهم جزاؤهم عليها دون وقوع ظلم عليهم.

وقد أتت الفاصلة متآلفة مع آيتها ، ومعمقة لمضمونها ، إذ تتحدث الآية عن الجزاء العادل المقدر بمقدار العمل ، ولذا جاءت الفاصلة لتؤكد هذا المعنى من خلال نفي الظلم صراحة .

والمتأمل في الآية يجد أنها تكونت من ثلاث جمل شديدة الإحكام والترابط ، وكانت الفاصلة هي المستقر المكين لها .

فقد جاءت الجملة الأولى : « وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ » معلنةً عن التباين في الدرجات بحسب الجزاء على العمل ، وقد أبانت عن ذلك في أفصح نظم إذ قدمت المسند (ولكل) على المسند إليه (درجات) لإفادة التخصيص ، فلكل فريق من الفريقين درجات خاصة به ، ويفهم منه أن لكل فرد من أفراد كل فريق درجة خاصة به وفق عمله الذي قدمه ، ((والتعبير عن تلك المراتب بالدرجات تغليب لأن الدرجة مرتبة في العلو وهو علو اعتباري إنما يناسب مراتب الخير ، وأما المرتبة السفلى فهي الدركة))[٢] ، وقوله تعالى : (مما عملوا) يجوز فيه أن تكون "من" تبعيضية ، والمراد بـ (ما عملوا) جزاء ما عملوا فيقدر مضاف ، ويجوز أن تكون "من" ابتدائية ، وما عملوا نفس العمل فلا يقدر مضاف))[٣] ، وتأتي الجملة الثانية « وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ » معطوفة على الأولى، لتؤكد بهذا الإيجاز الحاسم ، والتعليل القاطع ، التوفية التامة الكاملة للجزاء على أعمالهم التي قدموها ، وقد ارتبطت هذه الجملة بما قبلها لأنها علة لمحذوف دل عليه الكلام(٤) ، قبلها ، كأنه قيل وجازاهم بذلك ليوفيهم [٥] جزاء أعمالهم .

وتأتي الفاصلة معتمدة على الجملة الحالية لتؤكد مضمون الجملة السابقة ، إذ تصرح بنفي الظلم في حصولهم على جزاء أعمالهم ، بعدما نصت الجملة السابقة على التوفية الكاملة لهذا الجزاء ، والأداء التام له ، وهي بهذا تؤكد معناها بنفي ضده وهو الظلم ، وهذا أبلغ وآكد في تقرير معنى التوفية ، وتصعيد في تقرير مضمونه ، ومن ثم فقد رسخت الفاصلة ، معنى العدل الذي يشمل الحساب والجزاء والدرجات يوم القيامة ، وإطلاق النفي هنا يتناسب مع دلالة العموم والشمول الصادرة من توفية الجزاء

---

(١) روح المعاني ج ٢٧ ص ٢١ .

(٢) التحرير والتنوير ج ٢٦ ، ص ٤١ .

(٣). السابق الصفحة نفسها .

(٤) السابق الصفحة نفسها .

(٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ج ٩ ،ص ١٨٣ .

على جميع الأعمال ، فكل أعمالهم سيوفون جزاؤهم عليها صغرت أو كبرت ، وفي الوقت ذاته لا يظلم من أي نوع في هذه التوفية كذلك ، كما توافقت كلمة الفاصلة موسيقيا مع فواصل الآيات في السورة والتي ختم أغلبها بالنون أو الميم المسبوقتين بالواو والميم .

***

المبحث الثاني

الفاصلة المقيدة لنفي الظلم بـ "لا"

عن الله عز وجل

وفيه سبعة مواضع :

١ـ الموضع الأول : سورة النساء الآية رقم (٤٩) .

٢ـ الموضع الثاني : سورة النساء الآية رقم (٧٧) .

٣ـ الموضع الثالث : سورة النساء الآية رقم (١٢٤) .

٤ـ الموضع الرابع : سورة الإسراء الآية رقم (٧١) .

٥ـ الموضع الخامس : سورة الكهف الآية رقم (٤٩) .

٦ـ الموضع السادس : سورة مريم الآية رقم (٦٠) .

٧ـ الموضع السابع : سورة طه الآية رقم (١١٢).

الموضع الأول : سورة النساء الآية رقم (٤٩) قال تعالى : « أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۡۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا » تتعجب الآية من أهل الكتاب [١] وتوبخهم لأنهم يزكون أنفسهم بما ليس فيهم ، إذ ((كانوا يقولون : إنهم أهدى الناس)) [٢] . وغيره من افتراءات وأكاذيب . وتنكر عليهم ذلك ، ثم تثبت الآية في الوقت ذاته أنَّ التزكية إنما تكون من عند الله الذي يزكي من يشاء ((بما له من العلم التام والقدرة الشاملة)) [٣] ، ثم تأتي الفاصلة (ولا يظلمون فتيلا) متناسبة مع آيتها ، إذ تنفي حصول الظلم من الله تعالى لهم ، ولو كان قدر الظلم مقدار الفتيل الذي لا يؤبه ، ولا يعتد به ف ((الفتيل شبه خيط في شق نواة التمر ، وقد شاع استعارته للقلة ، إذ هو لا ينتفع به ، ولا له مرأى واضح))[٤] ، فالفعل المنفي (يظلمون) جاء مقيدا يستغرق غيره [٥] ، وهذا القيد هو الفتيل الذي يستغرق ما فوقه بطريق المفهوم من باب أولى ، أي إذا كانوا لا يظلمون ظلما بمقدار الفتيل ، فعدم ظلمهم فيما هو أكبر من ذلك آكد وأوجب.

على أنَّ الضمير في (يظلمون) أرجعه بعض المفسرين كالقرطبي إلى الذين يزكون أنفسهم ، وإلى الذين يزكيهم الله تعالى إذ يقول : ((الضمير في يظلمون عائد على المذكورين ممن زكى نفسه ، وممن يزكيه الله عز وجل ، وغير هذين الصنفين علم أن الله تعالى لا يظلمه من غي هذه الآية)) [٦] .

في حين يؤكد الآلوسي أنَّ الضمير يعود على الذين يزكون أنفسهم إذ يقول : (ولا يظلمون فتيلا) ((عطفٌ على جملة حذفت تعويلًا على دلالة الحال عليها ، وإيذانًا بأنها غنية عن الذكر أي يعاقبون بتلك الفعلة الشنيعة ولا يظلمون في ذلك العقاب أدنى ظلم وأصغره ، وهو المراد بالفتيل)) [٧].

والتناسب بين الفاصلة المقيدة وبين ما قبلها متحققٌ على كلا التوجيهين أما على رأي

---

(١) ((قال الكلبي : نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأطفالهم فقالوا : يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب ؟ فقال : لا فقالوا : والذي يحلف به ما نحن فيه إلا كهيئتهم ما من ذنبٍ نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل ، وما من ذنبٍ نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار فهذا الذي زكوا به أنفسهم ، وأخرج ابن جرير عن الحسن (أنها نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا : (نحن أبناء الله وأحباؤه) ، وقالوا : (لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى)) روح المعاني ج ٥ ص ٥٤ .

(٢) نظم الدرر ج ٥ ص ٢٩٨ .

(٣) السابق ج ٥ ص ٢٩٩ .

(٤) التحرير والتنوير ج ٥، ص ٨٤ .

(٥) ينظر تقييد النفي في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية، ياسر محمد بن بابطين ، ص ١٢٨ ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى ، ١٤٢٥هـ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، أبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، ج ٥ ص ٢٤٧ ، تحقيق هشام سمير البخاري ، نشر / دار عالم الكتب ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٣م .

(٧) روح المعاني ج ٥ ص ٥٤ .

القرطبي فإن التناسب يتحقق من خلال ما ذكره الزمخشري . في تفسير الفاصلة . أنَّ ((الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم ، أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم)) [١] ، فالفاصلة بهذا النفي القاطع للظلم المقيد بأقل القليل (الفتيل) تعمق مضمون ما قبلها وتتآزر معه في تأكيد أن الذين يزكون أنفسهم سيعاقبهم الله تعالى على هذه التزكية دون أن يظلمهم بأن يزيد في عقابهم ولو بمقدار فتيل ، وأن الذين يزكيهم الله يثابون على هذه التزكية دون أن يظلمهم الله تعالى ، ودون أن ينقص من ثوابهم ، ولو بمقدار فتيل كذلك .

وأما على رأي الآلوسي فإن التناسب بين الفاصلة وبين ما قبلها يتحقق بتأكيدها لأهل الكتاب أنهم لا حق لهم في هذه التزكية التي ألحقوها بأنفسهم ، وأنهم في الوقت ذاته لم يظلموا ولو بمقدار فتيل في عدم إلحاق هذه التزكية بهم ، بعدما جردهم الله تعالى منها لأنهم ليسوا أهلًا لها .

وإن كان للبحث أن يميل إلى أحد التوجيهين السابقين فإنه يميل إلى ما ذكره الآلوسي ؛ لأن الاستفهام التعجبي المشوب بالإنكار والتوبيخ الذي تصدرت به الآية مبطن بمعاني الزيف والبطلان الذي يستند إليه اليهود في ادعاءاتهم، وهو يدل على كذبهم وضلالهم فيها ، ثم يأتي الإضراب بعد ذلك في قوله تعالى : « بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ » ، منصبًا عليهم في الأساس لتأكيد كذبهم في زعمهم ، فهو (إبطال لمعتقدهم بإثبات ضده ، بأن التزكية شهادة من الله ، ولا ينفع أحدًا أن يزكى نفسه ، وفي تصدير الجملة بـ (بل) تصريح بإبطال تزكيتهم ، وأن الذين زكوا أنفسهم لاحظ لهم في تزكية الله ، وأنهم ليسوا ممن يشاء الله تزكيته ، ولو لم يذكر (بل) فقيل (الله يزكي من يشاء) لكان لهم مطمعٌ أن يكونوا ممن زكاه الله تعالى)[٢] ، فما سبق يدل على أنَّ الآية تسير في اتجاه إبطال تزكيتهم لأنفسهم ، وأنهم ليسوا أهلًا لها ، وهذا ما يؤشر بأنَّ الفاصلة جاءت لتؤكد عدم ظلمهم في ذلك ، وهذا ما يدلل على عدل الله تعالى ، وهذا الفهم قد أكده السعدي في تفسيره إذ يقول : ((وأما هؤلاء فهم . وإن زكوا أنفسهم بزعمهم أنهم على شيء ، وأنَّ الثواب لهم وحدهم . فإنهم كذبة في ذلك ، ليس لهم من خصال الزاكين نصيب ، بسبب ظلمهم وكفرهم ، لا بظلمٍ من الله لهم ، ولهذا قال : (ولا يظلمون فتيلا) ، وهذا لتحقيق العموم ، أي : لا يظلمون شيئًا ، ولا مقدار الفتيل الذي في شق النواة)) [٣] .

ويؤيد هذا الفهم كذلك السياق اللاحق للآية التي معنا وهو قوله تعالى : (انظر كيف

---

(١) الكشاف ص ٢٤١ ، سابق .

(٢) التحرير والتنوير ج ٥ ص ٨٤ ، بتصرف يسير.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ج ٥ ص ١٩٦ ، تحقيق د/ عبد الرحمن بن مُعَلَّا اللويحق ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م .

يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا) أي ((يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم عند الله أزكياء "وكفى" بزعمهم هذا (إثمًا مبينًا)) من بين سائر آثامهم [١] فهذه الآية بذلك تسير ضمن نسق الآية التي معنا ، وتؤكد أن المعنى منصب رأسًا نحو اليهود الذين لا يُظلمون فتيلًا في عدم استحقاقهم التزكية ، وفي عدم تزكية الله تعالى لهم ، لأنهم هم من ظلموا أنفسهم ، وهم من افتروا وارتكبوا إثمًا بزعمهم الزائف هذا ، مع أنهم ما استحقوا ذلك ، ولو استحقوا ما حرمهم الله تعالى حقهم ، لأنه لا يظلم .

وأخيرًا فإن رأي الآلوسي قد أكده ابن عاشور قائلًا : ((ومعنى (ولا يظلمون فتيلا) أي أنَّ الله لم يحرمهم ما هم به أحرياء ، وأنَّ تزكية الله غيرهم لا تعد ظلمًا لهم لأن الله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ، ولا يظلم أحدا)) [٢] .

***

الموضع الثاني : سورة النساء الآية رقم (٧٧)

قال تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا » .

جاء في سبب نزول هذه الآية ((أنَّ عبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وقدامة بن مظعون ، وسعد بن أبي وقاص ، وجماعة رضي الله عنهم كانوا يلقون من المشركين بمكة أذىً كثيرًا قبل أن يهاجروا ويقولون : يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فإنهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "كفوا أيديكم ، فإني لم أومر بقتالهم ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة " فلما هاجروا إلى المدينة ، وأمرهم الله سبحانه وتعالى بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم))[٣] ، فهذه الآية تصور حال هؤلاء الذين أمروا بالكف عن القتال والانشغال بجهاد النفس من صلاة وزكاة ، ثم بعد أن كتب عليهم القتال لم يشمروا الساعد ، ولم تظهر عليهم أمارات الإقبال عليه ، والمبادرة نحوه ، بل تراخوا " وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب " ، ((ولما عجب عليه الصلاة والسلام منهم إنكارًا عليهم كان كأنه قال: فما أقول لهم ؟ أمره بوعظهم وتضليل

(١) ينظر الكشاف ص ٢٤١ .

(٢) التحرير والتنوير ج ٥ ص ٨٤ .

(٣) نظم الدرر ، ج ٥ ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

عقولهم ، وتفييل آرائهم بقوله : " قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلا"))[١].

وجاءت الفاصلة مقيدة بنفي حصول هذا القدر القليل من الظلم وهو الفتيل، وذلك لتشجعهم على الإقبال على الجهاد ، ولتقابل تعلقهم بمتاع الدنيا المنقضي ، وارتكانهم إلى ما يمتلكونه فيها من حياة وأشغال ، وأرزاق ، ومتاع ، ولتؤكد أنَّ عطاء الآخرة خير وأبقى لهم من متاع الدنيا ، فالفاصلة تحرص على أن توجه الخطاب إليهم بأنكم لا تظلمون ولو بمقدار فتيل ((لا في دنياكم بأن تنقص آجالكم بقتالكم ، ولا أرزاقكم باشتغالكم ، ولا في آخرتكم بأن يضيع شيء من ثوابكم على ما تنالوه من المشقة ، لأنه سبحانه وتعالى حكيم لا يضع شيئًا في غير موضعه، ولا يفعل شيئًا إلا على قانون الحكمة)) [٢] ، ومن ثم كانت الفاصلة في غاية التناسب مع ما قبلها .

وقد ذكر الطاهر بن عاشور في هذا السياق عددًا من الوجوه تحتملها الفاصلة قائلًا : ((وموقع قوله : (ولا تظلمون فتيلًا) موقع زيادة التوبيخ الذي اقتضاه قوله : (قل متاع الدنيا قليل) ، أي ولا تنقصون شيئًا من أعمالكم المكتوبة ، فلا وجه للخوف وطلب تأخير فرض القتال ، وعلى تفسير الأجل في "لولا أخرتنا إلى أجل قريب " بأجل العمر [٣] ، وهو الوجه المستبعد ، يكون معنى " ولا تظلمون فتيلا " تغليظهم في اعتقادهم أنَّ القتل يعجل الأجل ، فيقتضي أن يكون ذلك عقيدة للمؤمنين إن كانوا هم المخاطبين قبل رسوخ تفاصيل عقائد الإسلام فيهم، أو أنَّ ذلك عقيدة المنافقين إن كانوا هم المخاطبين ، وقيل معنى نفي الظلم هنا أنهم لا يظلمون بنقص ثواب جهادهم ، فيكون موقعه موقع التشجيع لإزالة الخوف، ويكون نصبه على النيابة عن المفعول المطلق ، وقيل : معناه أنهم لا يظلمون بنقص أقل زمن من آجالهم ، ويجيء على هذا التفسير أن يجعل (تظلمون) بمعنى تنقصون كقوله تعالى : ((ولم تظلم منه شيئًا)) أي كلتا الجنتين من أكلها ، ويكون "فتيلا" مفعولًا به ، أي لا تنقصون من أعماركم ساعة ، فلا موجب للجبن)) [٤] .

وإذا كان الواضح من كلام البقاعي السابق أنَّ نفي الظلم هنا يشمل الأعمار والأرزاق في الدنيا، ويشمل كذلك عدم ضياع الثواب في الآخرة ، ومن كلام ابن عاشور . السابق ذكره . أنَّ نفي الظلم يكون في الدنيا بعدم نقص

(١) السابق ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٣٣ .

(٣) يعني بذلك ما ذكره قبل ذلك من أنه قد يراد ب (الأجل)العمر ، بمعنى لولا أخرتنا إلى أن تنقضي آجالنا دون قتال ، فيصير تمنيَا لانتفاء فرض القتال ، وهذا بعيد لعدم ملائمته لسياق الكلام ، على أنَّ الأولى أن يراد بالأجل مدة متأخرة ريثما يتم استعدادهم ، ينظر التحرير والتنوير ج٥ ، ص ١٢٦ .

(٤) التحرير والتنوير ج ٥ ، ص ١٢٧.

الأعمار ، وفي الآخرة بعدم نقص ثواب الجهاد، فإنَّ الآلوسي قد جعل نفي الظلم هنا محصورًا في ثواب الآخرة ، ناظرًا في ذلك إلى المقدر الذي عطفت عليه الفاصلة ، والمتعلق بالجملة السابقة للفاصلة (والآخرة خير لمن اتقى) إذ يقول : ((ولا تظلمون فتيلا عطفٌ على مقدر أي تجزون فيها ، ولا تبخسون هذا المقدار اليسير فضلًا عما زاد من ثواب أعمالكم فلا ترغبوا عن القتال الذي هو من غرورها)) [١] .

وعليه تكون (لا) النافية هنا شاملة للحال والاستقبال عند البقاعي ، وابن عاشور ، ودالة على الاستقبال فقط عند الآلوسي .

وإيثار القيد المستغرق لما فوقه هنا يتآزر في قوة مع ما تسعى إليه الآية في نهايتها من التنفير من التعلق بمتاع الدنيا ، وترغيب في الجهاد وتشجيع عليه ، ومن ثم فقد نفت الفاصلة أقل القليل (الفتيل) أمام أعينهم ، وأطلقت العنان لهم لينطلقوا بخيالهم ليتأكدوا في النهاية بعدم ظلمهم في أي تضحية أو بذلٍ أو جهاد أو مشقة في دين الله صغرت أو كبرت .

كما أنَّ ختم الآية بـ (فتيلا) هنا جعل الخاتمة منسجمة موسيقيًا مع خواتيم الآيات المجاورة لها ، والتي تُختم آياتها بحرف المد الألف .

هذا وقد ((قرأ الجمهور (ولا تظلمون) بتاء الخطاب على أنه أمر الرسول أن يقوله لهم ، وقرأه ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو جعفر ، وروح عن يعقوب، وخلف . بياء الغيبة . على أن يكون مما أخبر الله به رسوله . صلى الله عليه وسلم . ليبلِّغه إليهم)) [٢] ، وذكر الآلوسي أنَّ قراءة ولا يظلمون بالياء إعادة للضمير إلى ظاهر من [٣] في قوله تعالى : والآخرة خير لمن اتقى .

هذا وقراءة تظلمون بالتاء أنسب لهذا السياق ، لما فيها من التوجه نحو المخاطبين بالقول ، فيكون ذلك أقرب منهم للقبول ، وأدعى للإذعان بهوان الدنيا ، وتحمل أي مشاق للجهاد ، إذ لا يضيع الأجر والثواب ، ويترسخ لديهم حينئذٍ معنى الفاصلة بأنكم ((لا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال ، فلا ترغبوا عنه)) [٤] .

***

(١) روح المعاني ج ٥ ص٨٦ .

(٢) التحرير والتنوير ج٥ ، ص١٢٨ .

(٣) روح المعاني ج ٥ ص ٨٦ .

(٤) تفسير الكشاف ، ص٢٤٧.

الموضع الثالث : سورة النساء الآية رقم (١٢٣- ١٢٤)

قال تعالى : « لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا »

جاءت الآية الثانية معطوفة على الآية الأولى لأنه ((لما أبدى الله جزاء المسيء تحذيرًا ، أولاه أجر المحسن تبشيرًا))[١] .

وقد أبانت الآية الثانية عن ثواب الذين يعملون الصالحات وهم مؤمنون بكونهم يدخلون الجنة ، ولا يظلمون نقيرا ، فهي تهدف بذلك إلى الحث على العمل الصالح مع الإيمان والمبادرة نحوه ، والاجتهاد فيه ، حتى يتحقق هذا الثواب الغامر.

ولأجل أن تصل الآية إلى تعميق هذا الغرض الديني في النفوس استثمرت وسائل لغوية جعلت المعنى ناصع البيان ، واضح الأركان ، كما جاءت فاصلتها على أتم وجه من التلاؤم والتناسب .

فقد اعتمدت الآية على (من) الشرطية التي تحكم أواصر المعاني من ناحية، وتضفي عليها روح التأكيد من ناحية أخرى ، ثم يجئ فعل الشرط (يعمل) بصيغة المضارع ليبث معاني الاستمرارية في العمل ، والمواظبة عليه ، ثم (من) التبعيضية في قوله : (من الصالحات) لتعمق من التشجيع على القيام بأي عمل صالح ((والمراد من يعمل بعض الصالحات لأن أحدًا لا يقدر على أن يعمل جميع الصالحات)) [٢] ، ثم تأتي (من) البيانية في قوله تعالى : (من ذكر أو أنثى) ، ((لتزيل الإبهام الذي في (مَن) الشرطية في قوله: ((ومن يعمل الصالحات)) [٣] ، وتفصح عن التعميم الشامل للذكر والأنثى فالجميع داخل في الشرط ، ويطاله جوابه ، ثم تجئ جملة الحال (وهو مؤمن) لتكشف عن شرط قبول الأعمال الصالحة ، وهو الإيمان الخالص لله عز وجل .

ثم تأتي جملة جواب الشرط (فأولئك يدخلون الجنة) لتسوق البشارة العظيمة لهم ، ولتؤكد بأن ثواب العمل الصالح مع الإيمان هو الجنة ، وقد آثر النظم القرآني التعبير بـ (يدخلون) بدلًا من (فأولئك لهم الجنة) ليرصد صورتهم وهم يدخلون الجنة في فرح ونشوة ، وهذا أدخل في الترغيب والإقبال على العمل الصالح .

ولم تقف الآية عند هذا الحد وإنما تمعن في تشجيع المؤمنين الذين يعملون الصالحات على الزيادة من الأعمال ، وبعث الطمأنينة في نفوسهم من خلال بشارة أخرى أتت بها الفاصلة المقيدة (ولا يظلمون نقيرا) ،

والنقير : ((نقرة في ظهر النواة منها تنبت النخلة، والمعنى أنهم لا ينقصون قدر مَنبتِ النواة)) [٤] .

---

(١) نظم الدرر ، ج٥ ص ٤١١ .

(٢) مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج ١١ ، ص ٥٦ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .

(٣) التحرير والتنوير آية ١٢٤ .

(٤) مفاتيح الغيب ، ج ١١ ، ص٥٧ .

فهذه الفاصلة بهذا المعنى تتناسب مع آيتها إذ هي إيغال يهدف إلى رصد محفز آخر من محفزات العمل الصالح من المؤمن مع الوعد بدخول الجنة ، ويتجسد هذ البعد في دفع أي توهم لدى الإنسان المؤمن من ظلمه في ملاقاة ثواب عمله الصالح ، حتى ولو كان أقل القليل كالنقرة التي في ظهر النواة ، وهو ما يضاعف في إقباله على العمل الصالح ، واجتهاده نحوه، ((ويعلم من نفي تنقيص ثواب المطيع نفي زيادة عقاب العاصي من باب الأولى ، لأن الأذى في زيادة العقاب أشد منه في تنقيص الثواب ، فإذا لم يرض بالأول . وهو أرحم الراحمين . فكيف يرضى بالثاني . وهو السر في تخصيص عدم تنقيص الثواب بالذكر دون ذكر عدم زيادة العقاب . مع أن المقام مقام ترغيب في العمل الصالح فلا يناسبه إلا هذا))[٢].

ونزوع الآية نحو نفي الفعل المقيد بقيد يستغرق ما فوقه أمعن في تشجيع المؤمنين على العمل الصالح ؛ لأنه إذا كان نفي الظلم ينصب على العمل الصالح البالغ في القلة فإن انصبابه على ما هو أكبر منه واستحالة حصوله أمر آكد وأوجب ، كما أنَّ الربط بين الفاصلة وجملة يدخلون بالواو العاطفة بما فيها من قوة في الربط ، وسرعة في النطق ، وتنبيه إلى مغايرة في المعنى ، جعل مضمون الجملة الثانية وهو نفي حصول أقل ظلم له ، أشد انطباعًا في الذهن ، وكانت بمنزلة التنبيه على كمال الفضل الذي يناله المؤمن الذي يعمل الصالحات ، مع الوعد بدخول الجنة .

كما اتسمت كلمة الفاصلة هنا بالتناسب الصوتي مع كلمات الفواصل المجاورة ، والتي تنتهي بالألف الممدودة .

الموضع الرابع : سورة الإسراء الآية رقم (٧١)

قال تعالى : « يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا » .

تصور الآية حال المؤمنين يوم القيامة إذ يتلقون صحائفهم بأيمانهم فرحين مستبشرين بما فيها من حسنات وطاعات ، وتختم الآية بتأكيد نفي وقوع أدنى ظلم عليهم .

وكانت الفاصلة هنا بمنزلة القرار المكين والنهاية المقررة لما قبلها ، ولذا كانت في غاية الإحكام والتناسب .

فقد ابتدأت الآية بكلمة (يوم) التي تعطي ببعدها الزمني يومًا محددًا، مؤطرًا بمكان محدد كذلك ، ثم تأتي جملة (ندعوا كل أناس بإمامهم) لترصد حدثًا يحدث في هذا اليوم وهو دعوة كل أناس من بني آدم بإمامهم ((أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر أو يا أهل دين كذا يا أهل كتاب كذا وقيل الإمام جمع أم كخف وخفاف))[١].

ثم تأتي الجملة الشرطية (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم) لتصور حال السعداء من بني آدم والذين يأخذون كتبهم بأيمانهم ليقرؤنها في بهجة وفرح ، وقيام هذه الجملة على الشرط أبان عن قوة التلازم والارتباط بين

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٥ ، ص ١٨٧ .

القراءة المتأنية المليئة بالبشارة والبهجة وبين أخذ الكتاب باليمين فالأول مترتب على الثاني ، ومتسببٌ عنه ، وآثر النظم التعبير بالماضي المبني لما لم يسم فاعله (أوتى) لأن هذا الفعل يحدث مرة واحدة دون أن يتكرر ، ومن ثم فهو يرصد هذه اللحظة ويعبر عنها بدقة ، وبالمقابل جاء الفعل (يقرؤون) بالمضارع لأن القراءة تتكرر منهم ابتهاجًا واستلذاذًا .

ثم تأتي الفاصلة (ولا يظلمون فتيلا) متصدرة بالواو العاطفة بما تفيده من الجمع بين المعاني لتجمع عليهم بين القراءة السعيدة لكتبهم ، وبين تأكيد عدم وقوع أدنى ظلم عليهم ، كما أنَّ الواو العاطفة بما تفيده من المغايرة تستأنف . بمدخولها . معنًى جديدًا يوغل ويصاعد في تقرير فرحتهم ، وتدعيم بشارتهم ، بعد هذه الفرحة والبشارة المفهومة من تخصيصهم بالقراءة في هذا السياق دون أصحاب الشمال ((فإن قلت : لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم ؟ قلت: بلى ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول ، فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة وأبينها ، ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر :(هاؤم اقرؤا كتابيه))) [1] فتخصيص اليمين هنا فيه ((إبانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفًا لصاحبه وتبشيرًا له من أول الأمر بما في مطاويه)) [2] ، وجاء بناء النفي في الفاصلة منصبًا على الفعل (يظلمون) مقيدًا بـ (فتيلا) ، ليمعن بذلك في ترسيخ إحساس الأمان والسكينة بعد البشارة والفرحة فالفتيل هو الخيط الذي في شق النواة ، وهو كناية عن أقل القليل ، وانصباب نفي الظلم عليه يجعل هذا النفي يشمل ما فوقه بطريق اللزوم ، إذ نفي القليل يستلزم نفي الكثير ، وهذا ما يطمئنهم إذ لا يُنقص منهم أقلُ ثوابٍ من أقل عمل خير عملوه ، كما لا يزاد عليهم أدنى زيادة في عقاب على سيئة . وعلى هذا فقد جاءت الفاصلة (ولا يظلمون فتيلا) متناسبة مع ما قبلها ومرتبطة معها برباط معنوي غاية في التماسك والتلاحم إذ عمقت فرحة وبشارة أصحاب اليمين بنفي وقوع أدنى ظلم عليهم . وهي بذلك إيغال أكد المعنى ، وعمق من مدلوله ، كما تناسبت كلمة الفاصلة مع الإيقاع الموسيقي المسيطر على كلمات الفواصل المجاورة المنتهية بالألف الممدودة كذلك .

هذا ، والتعبير بالفتيل في سياق المؤمنين المستبشرين هنا يُذهب بقول [3] من فسر الفتيل

---

(١) تفسير الكشاف ، ص ٦٠٤ .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٥ ، ص ١٨٧ .

(٣) د/ خليل بيضون في بحثه بعنوان المؤدى البياني في التعبير القرآني دراسة بيانية في سورتي آل

في سورة النساء في قوله تعالى : « أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظلَمُونَ فَتِيلًا » [١] بأنه ما يفتله الإنسان بيده من أوساخ وترسبات بين أصابعه بعد التعرَّق على إثر القيام بمجهود ما، وجعل هذا المدلول يتفق مع إرادة تحقير اليهود والكفار والمنافقين لما يأتون به من قذارة إذ يقول د/ أحمد النعيمي : ((والفتيل جاء في سياق التحقير لأعمال اليهود والكفار والمنافقين لما يأتون به من أعمال قذرة ، فبادلهم الله تعالى بأنَّ عدله قائم ، ولا يظلمهم مقدار فتيل من قذارة أعمالهم))[٢] ، ومهما قيل من اختلاف السياق ، والمحدث عنهم في آية النساء السابقة وآية الإسراء التي معنا ، فإنَّ النفس لا تميل إلى هذه التفرقة في مدلول الفتيل في الآيتين ، ولا تستسيغ أن تعرف الفتيل مرة بالأوساخ والقذارة ، ومرة بالجزء من النواة ، لاسيما وأنَّ هذه اللفظة جاءت في المرة الثالثة . وظهرت في القرآن الكريم في هذه المواطن الثلاثة فقط . في سورة النساء [٣] في سياق خطاب المؤمنين . على الوجه الأغلب [٤] . كذلك .

وإذا جاز لنا أن نفسر الفتيل بما يفتله الإنسان من بين أصابعه بعد التعرق كما هو مرويٌ عن ((ابن عباس ، وأبي مالك ، والسدي رضي الله تعالى عنهم)) [٥] ، فإن هذا التفسير لا يجوز أن ينطبق على آيةٍ دون أخرى ، بل يجب أن يشمل جميع الآيات التي ذكر فيها الفتيل ، ويكون النظر حين إذن إلى القلة والحقارة والضآلة دون نظرٍ إلى القذارة ؛ لأن القذارة لا تنطبق على آية سورة (الإسراء) ، ومن ثم يصبح تعليل تخصيص وروده السابق في آية سورة (النساء) (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ....) تعليلًا غير منضبط .

والأولى أن نفسر الفتيل في الجميع بأنه . كما مر بنا . الخيط الذي في نقرة النواة ، وأنَّ هذه اللفظة بالإضافة إلى النقير [٦] والقطمير [٧] ، أشياء مألوفة عند العرب مرتبطة بأشهر مأكولاتهم ، ضرب الله بها المثل في القلة والحقارة على عادة القرآن في ضرب الأمثال .

***

عمران والنساء، مجلة أوراق ثقافية ، مجلة نصف فصلية محكمة تعنى بقضايا الثقافة والأدب ، السنة الأولى . العدد الرابع . تشرين الثاني ٢٠١٩م ، بيروت ، لبنان .

(١) سورة النساء آية رقم ٤٩ .

(٢) المؤدى البياني في التعبير القرآني، دراسة بيانية في سورتي آل عمران والنساء ، والبحث على الشبكة الدولية للمعلومات بدون ترقيم لصفحاته .

(٣) سورة النساء آية رقم (٧٧) .

(٤) قلنا على الوجه الأغلب لأن الطاهر ابن عاشور قال باحتمال أن يكون الخطاب للمنافقين ، وليس للمؤمنين كما ورد في سبب نزول الآية ، ينظر التحرير والتنوير ، ج٥ ، ص ١٢٧ . .

(٥) روح المعاني ، ج٥ ، ص ٥٤ .

(٦) النقير : النكتة في ظهر النواة ، إعراب القرآن وبيانه ج ٥ ص ٤٧٥ .

(٧) القطمير : القشرة بين النواة والثمرة ، إعراب القرآن وبيانه ج ٥ ص ٤٧٥ .

الموضع الخامس : سورة الكهف الآية رقم (٤٩)

قال تعالى : « وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا » .

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن منكري البعث الذين عرضوا صفًا على ربهم ، بعد أن زعموا في دنياهم أنهم لم يبعثوا ، ((أي زعمتم في الدنيا أن لن تبعثوا ، وأن لن نجعل لكم موعدًا نجازيكم بأعمالكم ، وننجز ما وعدناكم به من البعث والجزاء فقد جاء الموعد)) [١] ، ثم تأتي هذه الآية لتمعن في تبكيت هؤلاء المجرمين في هذا اليوم بتصوير حالهم حين يوضع الكتاب أمامهم ، إذ يسيطر عليهم الخوف ، ويدعون على أنفسهم بالويل ، ويتعجبون من جمعه لكل صغيرة ، وكبيرة ، عملوها في حياتهم ، دون أن يغادر شيئًا منها ، ثم تُختم الآية بالتأكيد على عدم ظلم رب العالمين لأحد .

وقد جاءت الفاصلة (وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدا) متناسبة مع مضمون الآية ، ومؤكدة لما ترمي إليه من تقريع المجرمين بكتبهم التي وثقت أعمالهم ، وقيدت أفعالهم ، والتي طالما أنكروا بعثهم وحسابهم ، إذ القارئ المتأمل يجد أنَّ دال (الكتاب) هو مركز الثقل التي تدور حوله الآية لتصل في النهاية إلى غرضها من إظهار حسرة المجرمين في هذا الموقف ، ولذا فقد تكرر ست مرات ، مرتان بظهوره صريحةً ، وأربعًا بعود الضمير عليه في قوله : (فيه)، و(يغادر) ، و(أحصاها) ، و(حاضرًا) أي فيه .

ثم تجئ الفاصلة لتمعن في تنديمهم على ما قدموه في دنياهم ، وكأنها تنادي عليهم بأن ما وجدتموه أمامكم ما هو إلا صنيعكم ، وما رأيتموه ماهي إلا أعمالكم التي كنتم تجاهرون بها ، وتصرون عليها ، وتزعمون عدم محاسبتكم عليها ، فالله تعالى لا يظلم أحدًا من خلقه و((لا يُحصى على أحد غيرَ ما قدم ، ولا يعاقب أحدًا من عباده بغير ذنب ، ولا ينقص فاعل الطاعة من أجره الذي يستحقه)) [٢] ، ولو أطعتم وفعلتم الصالح لوجدتموه حاضرًا ، أما إنكم قد اخترتم بإرادتكم الإعراض ، والعصيان ، فليس لكم إلا العذاب والخذلان .

وقد قوى البناء اللفظي للفاصلة . والقائم على نفي الظلم عن الله تعالى . من تعزيز هذه المناسبة ، وعضد من وجاهتها إذ تصدرت بالواو العاطفة التي وإن كانت تجعل الجملة الداخلة عليها مرتبطة بما قبلها بحكم عطفها عليها، إلا أنها أبعد في الاستقلالية بذاتها ، إذ المعنى حينئذٍ أنَّ عدم ظلم رب العالمين لأحد أمر ثابت لله عز وجل ، ومعلوم عنه ، وهذا أمعن في تنديمهم إذ كيف غفلوا عن هذه الحقيقة المؤكدة ، ولم يقدموا صالحًا ينجيهم في

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، المجلد الرابع ، ص ٣٤٥ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

هذا اليوم ، ولذا فقد أصاب الطاهر بن عاشور حين جعل الواو عاطفة والجملة معها تذييلًا قائلًا : ((والمقصود إفادة هذا الشأن من شؤون الله تعالى ، فلذلك عطفت الجملة لتكون مقصودة أصالة وهي مع ذلك مفيدة معنى التذييل لما فيها من الاستدلال على مضمون الجملة قبلها ، ومن العموم الشامل لمضمون الجملة قبلها وغيره))[١] ، وجَعْل الواو عاطفة أنسب . في هذا السياق . من جعلها حالية[٢] ، بمعنى (والحال أن ربك لا يظلم أحدا) لأن الحالية وإن كانت مؤكدة لما قبلها بحكم (الواو) إلا أنَّ ارتباطها بزمن محدد معها يجعلها أقل قوة في الدلالة على الاستقلالية من العاطفة ، إذ العاطفة مطلقة عن التقيد بزمن محدد[٣] ، ومن ثم فكونها عاطفة أمعن في دلالتها على شمولها لهذا الموقف وغيره ، ومن ثم يكون النفي الواقع في رحابها أعم وأشمل ، وهذا . كما مر . أوكد في تعميق حسرتهم على ما فرطوا في جنب الله .

وتأتي لفظة (ربك) المنفي وقوع الظلم منها ، لتضاعف من حسرة المجرمين ، إذ الخطاب بها لغير معين [٤] ، وهذا ما يجعلها أكثر رحابةً واتساعًا لتشمل كل سامع ، وتعم كل مدرك ، ومن بين ما تشملهم هؤلاء المجرمين ، كما أنَّ إيثار هذه اللفظة في هذا الموطن بما تدل عليه من الإنعام والتربية والحفظ يوحي بإرادة المزيد من التبكيت لهم ، فالرب بهذه الصفات حريص عليهم ، مريد لسلامتهم ، داعٍ لنجاتهم وفوزهم ، ولذا فقد حاورهم بالأدلة الواضحة ، وجاء لهم بالحجج المقنعة ، وسعى لاستمالتهم بالآيات الدالة ، والشواهد الناطقة ، وحذرهم من مغبة إنكارهم وعصيانهم، ولكنهم بالرغم من ذلك أعرضوا تكبرًا وتبجحًا ، وهذه مفارقة تمزق نفوسهم كمدًا ولوعة فهم ((يقرون إذا سئلوا بأن الله مفرد بالربوبية ، ولا يجرون على مقتضى إقرارهم ، وأنهم سيندمون على الكفر عندما يحضرهم الموت وفي يوم القيامة)) [٥] .

وجاء الفعل (يظلم) مقيدًا بلفظة (أحد) وهي نكرة ، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم والشمول ، فتفيد الفاصلة بذلك نفي الظلم عن أي أحد كائنًا من كان ، ذلك أنك ((إذا قلت لم أر أحدًا في الدار ، دل ذلك على أنك لم تر أي شخص))[٦] ، فالله عز وجل لا يقع منه ظلمٌ على أي إنسان

---

(١) التحرير والتنوير ج ١٥ ، ص ٣٣٩ .

(٢) ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ج ٥ ، ص ٦١٧ .

(٣) ينظر الواو ومواقعها في النظم القرآني ، د/ محمد الأمين الخضري ، ص٥٥٩، مكتبة وهبة ، ط١ ، ٢٠١٥م.

(٤) استنتجت هذا قياسًا على ما ذكره الطاهر بن عاشور في بداية الآية عن قوله تعالى : (فترى المجرمين)أن الخطاب بقوله: فترى لغير معين ، ينظر التحرير والتنوير ج ١٥ ص ٣٣٧-٣٣٩ ، وجدير بالذكر هنا أنَّ ابن عاشور قد وقف على كثير من الخصائص البلاغية التي يحفل بها نظم الآية الكريمة مما يجعل إعادتها هنا تكرارًا .

(٥) التحرير والتنوير ج ١٨ ص ٧ .

(٦) معاني النحو ، د/فاضل السامرائي ، ج٣ص ٢٣٩ ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ط٥ ، ١٤٣٢هـ . ٢٠١١م .

، وهذا ما يؤجج نار الحسرة بداخلهم إذ يتأكدون حينئذٍ من عدل الله عز وجل ، وأنَّ ما يحل بهم ما هو إلا بفعل جنايتهم على أنفسهم .

وبهذا يظهر أنَّ التناسب بين الفاصلة وآيتها كان على أتم وجه من الإحكام والترابط ، هذا فضلًا عن تناسب الفاصلة موسيقيًا مع الفواصل المجاورة من خلال الألف الممدودة التي كانت نهايةً لكلمات الفواصل .

***

الموضع السادس : سورة مريم الآية رقم (٦٠)

قال تعالى : « فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا » .

جاءت الآية الأولى للتنديد بطائفة لم يقتدوا بأسلافهم من الأنبياء والرسل الذين ذكرتهم السورة بداية من الآية الثانية "ذكر رحمت ربك عبده زكريا" إلى الآية الثانية والخمسين "أولئك الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين..." [١].

و(لما وصف الله تعالى هؤلاء الخَلْف بالخيبة فتح لهم باب التوبة، وحداهم إلى غسل هذه الحوبة)[٢] بالآية الثانية "إلا من تاب وآمن ...".

والناظر في هذه الآية يجد أنها تستثني من الذين يلقون غيًا – أي ((شرًا يتعقب ضلالًا عظيمًا)) [٣] ، بسبب إضاعتهم الصلاة ، واتباعهم الشهوات – فريقًا تاب وآمن وعمل صالحًا لتعدهم بدخول الجنة ، وعدم وقوع ظلم عليهم .

وقد جاءت الفاصلة (وَلَا يُظلَمُونَ شَيْئًا » متعانقة مع ما قبلها ، وسائرة في ركابها في تناسب محكم ، فطالما أنَّ الآية تسعى إلى الترغيب في التوبة والإيمان والعمل الصالح والتشجيع عليهم، من أجل الخروج من ظلمات الغي والضلال،

(١) ينظر التحرير والتنوير ج١٦ ، ص ١٣٤ .
(٢) نظم الدرر ج ١٢ ص ٢٢٥ ، بتصرف .
(٣) السابق ص ٢٢٤ .

فإن الفاصلة جاءت لتعمق هذا المعنى ، وتوغل في تأكيده، والإلحاح عليه .

فقد وعدتهم الآية بدخول الجنة « فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدخُلُونَ ٱلجَنَّةَ » بهذا البناء اللغوي الذي بلغ أقصى درجة في الدلالة على التوبة والإقبال عليها فقد ((جيء في جانبهم باسم الإشارة إشادة بهم وتنبيهًا لهم للترغيب في توبتهم من الكفر ، وجيء بالمضارع الدال على الحال للإشارة إلى أنهم لا يُمْطَلُون في الجزاء، والجنة عَلَم لدار الثواب والنعيم ، وفيها جنات كثيرة كما ورد في الحديث : "أو جنة واحدة هي أنها لجنان كثيرة")) [١] .

ثم أتت الفاصلة في صورة إيغال يضاعف من هذا الترغيب ، ويعمق من جذبهم نحو التوبة، وحثهم عليها ، إذ أكدت نفي حصول أي ظلم لهم ، وقد جاء هذا المعنى في أقوى صياغة تقرره ، إذ تصدرت الفاصلة بالواو العاطفة لتجمع مع دخولهم الجنة ، تقرير استحالة وقوع ظلم عليهم ، ثم يجئ نفي الظلم بـ (لا) مقيدًا بالنكرة شيئًا ، وهذا ما أفاد ((نفي كل فردٍ من أفراد النقص والإجحاف والإبطاء ، فيعلم انتفاء النقص القوي بالفحوى دفعًا لما عسى أن يخالج نفوسهم من الإنكار بعد الإيمان بظن أن سبق الكفر يحطُ من حسن مصيرهم)) [٢] ، وعلى ذلك فقد جاءت الفاصلة ((لتذهب الشك الذي قد يدخل إلى نفوسهم من عدم قبول توبتهم ، وتؤكد أنَّ أعمالهم الخبيثة السابقة ذهبت هباءً، وصارت نسيًا منسيًا بكرم اللطيف الخبير ، وعظيم حلمه على عباده)) [٣] .

وقد ختمت الفاصلة بألف المد المسبوقة بالياء والهمزة لتعطي بذلك بعدًا صوتيًا ممتدًا يمعن في توكيد دلالة الكلمة المنفية في الذهن ، كما أنها بذلك توافقت إيقاعيًا مع فواصل الآيات المجاورة مما ساعد في الحفاظ على التجانس الصوتي المنسجم لها [٤] .

***

(١) التحرير والتنوير ج١٦ ، ص ١٣٦ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية ، رسالة دكتوراه للباحثة فطيمة بورحلة ، كلية الآداب واللغات والفنون ، الجزائر ص ٢٠٧ ، السنة الجامعية ٢٠١٦ ، ٢٠١٧ م .

(٤) ينظر السابق ص ٢٠٥ ، وقد قامت الباحثة في هذه الرسالة بدراسة فواصل سورة مريم من خلال تقسيم السورة إلى أربعة مقاطع .

الموضع السابع : سورة طه الآية رقم (١١١- ١١٢)

قال تعالى : « وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا * وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا» .

لما ذكر الله عز وجل الخيبة التي ستحل بمن يحمل الظلم يوم القيامة [١] في قوله : « وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ ....» عطف عليها قوله : « وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...» .

فالآية التي معنا مسوقة بذلك لتبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بعدم الخوف من الظلم والهضم .

وقد أتت الفاصلة[٢] (فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا) لتبث السكينة والطمأنينة في قلب كل من يعمل من الصالحات وهو مؤمن ، بنفيها وقوع ظلم أوهضم له، وقد جاء هذا المعنى في ثوب جواب الشرط للشرط قبله « وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِن » ، وهذا ما أضفى على الآية بأكملها مزيدًا من الترابط والتلاحم ، والتشويق والإثارة ، عاد في النهاية على الفاصلة فجعلها متمكنة في مكانها ، متناسبة مع آيتها .

والمتأمل في الفاصلة يجد أنَّ النفي فيها قد انصب على الفعل (يخاف) ثم قيد النفي بكونه الخوف من الظلم والهضم ، والفصل بين هاتين اللفظتين بواو العطف المقتضية للتغاير يدلل على إرادة المبالغة في تربية الأمن والسكينة للمؤمنين ، ونزع جميع درجات الخوف والفزع من قلوبهم ، فـ (معنى (فلا يخاف ظلما) أي لا يخاف منع ثواب مستحق بموجب الوعد ، ومعنى (ولا هضما) ولا منع بعض منه ، تقول العرب هضمت حقي أي نقصت منه ، ومنه هضيم الكشحين أي ضامرهما ، وهضم الطعام تلاشى في المعدة ، وروى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة أنَّ المعنى فلا يخاف أن يظلم فيزاد في سيئاته ، ولا أن يهضم فينقص من حسناته) [٣] ، ويجوز ((أن يكون الظلم بمعنى النقص الشديد كما في قوله "ولم تظلم منه شيئًا" أي لا يخاف إحباط عمله ، وعليه يكون الهضم بمعنى النقص الخفيف ، وعطفه على الظلم على هذا احتراس)) [٤] يهدف إلى الوصول بنفي الخوف إلى أدنى درجة ، وأقل مرتبة من الظلم ، والنقص من ثواب أعمالهم ، ونفي ظلم البعض يشمل القليل ، وأقل القليل ، وهو ما ينسجم بذلك مع فواصل نفي الظلم المقيدة الأخرى من مثل قوله تعالى : (ولا يظلمون فتيلا) ، (ولا يظلمون نقيرا) كما تقدم .

هذا وتكرار لا النافية في الفاصلة يعمق من توكيد النفي، ويقرر من فاعليته، كما أن ختم

---

(١) نظم الدرر ج ٦، ص ٣٤٩ .

(٢) رغم مخالفة هذه الفاصلة جميع فواصل البحث في عدم انصباب النفي فيها على الظلم رأسا ، إلا أنها تشترك معها في نفي الظلم بـ " لا " عن الله تعالى ، ولهذا دخلت معنا في الدراسة .

(٣) روح المعاني ج ١٦ ، ص ٢٢٦ .

(٤) التحرير والتنوير ج ١٦ ، ص ٣١٣ .

كلمة الفاصلة بالألف الممدودة جعلها تتوافق إيقاعيًا مع كلمات الفواصل المجاورة .

وقد ((قرأ ابن كثير وابن محيص ، وحميد (فلا يخف) على النهي قال الطيبي قراءة الجمهور توافق قوله تعالى : (وقد خاب) الخ من حيث الاخبار وأبلغ من القراءة الأخرى من حيث الاستمرار ، والأخرى أبلغ من حيث أنها لا تقبل التردد في الاخبار)) [١] .

ويقف المتأمل في هذه الآية التي معنا مقارنة بالآية المتقدمة في سورة مريم « إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا » على بعض الاختلافات التي يمكن تفسيرها بالنظر إلى السياق .

فالآية في سورة مريم جاءت فيها الأفعال (تاب وآمن وعمل) بصيغة الماضي لأنها تتحدث عن حال مضت . وإن كان يقاس عليها . فناسب التعبير بالماضي .

كما أنَّ آية سورة (مريم) زادت بالتنصيص على ذكر (التوبة) لأنها الأساس في الاستقامة ، والبداية في الرجوع إلى الله بعد إضاعة الصلاة واتباع الشهوات ، وزادت بذكر "دخول الجنة" لتمعن في بيان عظم الثواب الذي ينتظرهم زيادة في استمالتهم ، وترغيبهم في التوبة .

ثم جاءت الفاصلة (وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا) لتعمق من استمالتهم بهذا العموم في نفي حصول أي ظلم لهم مع الوعد بدخول الجنة .

وفي الآية التي معنا في سورة (طه) جاء الفعل (يعمل) بصيغة المضارع ليستحضر صورتهم الحسنة التي تعمل الصالحات ، ولم تذكر الآية هنا التوبة لأن المقام مقام تصوير ما ((سيقع من أحوال القيامة وأهوالها))[٢] فلا مكان للتوبة ، ولم تذكر الآية الوعد بدخول الجنة ، وجاءت الفاصلة بنفي الخوف لأن الأهم لهم في هذا الموقف المهيب هو إزالة الخوف والهلع والنجاة منهما ؛ ولذا ناسب هنا أن يخاطبهم بما يُذهب هذا الخوف ويَبعث الطمأنينة والسكينة .

(١) روح المعاني ج ١٦ ، ص ٢٦٦ .

(٢) روح المعاني ج ١٦ ص ٢٦٦ .

الخاتمـــة

تتلخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يأتي:

١. تنوعت فاصلة نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل بين الفواصل المطلقة ، والفواصل المقيدة ، واتسمت جميعها بالتناسب مع آيتها ، إذ أتت معمقة لمضمون ما قبلها ، ومؤكدة لها تارة ، كما أتت تارة أخرى معقبة على الآية ، أو متمكنة منها ، فتنوعت بذلك ما بين الإيغال ، والتذييل ، والتمكين .

٢. تقدمت الواو على فاصلة نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، وقد تنوعت هذه الواو بين الحالية والعاطفة بما يقتضيه المعنى ، ويحتمه السياق ، فكانت تظهر الحالية عندما يراد التأكيد بالفاصلة للجملة السابقة على وجه من الارتباط بها ، وتظهر العاطفة . غالبًا . حين يراد التأكيد كذلك ، ولكن على وجه من التغاير والاستقلال ، وأحيانًا تأتي العاطفة للمغايرة التامة ، بين الفاصلة والمعنى السابق عليها .

٣. جاءت الفاصلة المطلقة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل على صورتين هما قوله تعالى: (وهم لا يظلمون) ، (وأنتم لا تظلمون)، ومن ثم فقد اعتمدت في بنائها على الإحالة بالضمير (هم) ، والضمير (أنتم) ، فشكلت هذه الإحالة عنصرًا من أهم عناصر التماسك الشكلي الذي يكشف عن التماسك المعنوي والترابط الدلالي بين الآية وفاصلتها .

٤. ظهرت الإحالة بالضمير (أنتم) في سياق الحديث عن الإنفاق ، وذلك حتى يتوجه الخطاب مباشرة إلى المخاطبين ليكون ذلك أدعى إلى استمالتهم إلى وجوه الخير والإنفاق .

٥. أتت أغلب الفواصل المطلقة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل مسبوقة بإثبات توفية الخلق جزاء أعمالهم ، والقضاء بينهم بالحق ، وبالقسط ، مما جعل للفاصلة القائمة على نفي الظلم بـ (لا) دورًا هامًا في تعميق معنى العدل، وتقويته .

٦. تنوعت الفاصلة المقيدة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل بين قوله تعالى : (ولا يظلمون فتيلا) ، (ولا يظلمون نقيرا) ، (ولا يظلمون شيئا) ، (ولا يظلم ربك أحدا) ، وظهر التقييد بنفي الخوف من الظلم والهضم في آية واحدة (فلا يخاف ظلما ولا هضما)، وجاء كل ذلك متفقًا مع سياقه ، ومتناسبًا مع آياته على أتم ما يكون التناسب والتوافق .

٧. تَمثَّل غالبية السياق الزمني لـ "لا" النافية في الاستقبال ، وذلك لكثرة ورود هذه الفاصلة في سياق الحديث عن يوم القيامة ، وكان الحال والاستقبال هو السياق الزمني الثاني في الظهور ، وذلك للارتباط بسياق الحديث عن الإنفاق الذي ظهر ثانيًا كذلك ، ثم كان هذا السياق محتملًا بين الحاضر والاستقبال في سياق الحديث عن الذين يزكون أنفسهم ، ومحتملًا للماضي والحاضر والمستقبل عند الحديث عن القضاء بالقسط بين الأمم عند مجيء الرسل إليهم .

٨. غلب على فاصلة نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل مجيء الفعل المضارع المنفي (يظلمون) بالبناء لما لم يسم فاعله ، وذلك للعلم بالفاعل ، وللإقرار بالقدرة

٩ـ تكرر ظهور أسلوب الشرط كثيرًا قبل فاصلة نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل ، مما عمق من التلاحم والتناسب بين عناصر الآية .

١٠. جاءت غالبية كلمات فواصل نفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل متماثلة صوتيًا مع كلمات الفواصل المجاورة لها ، مما عمق من التناسب بين خواتيم الآيات ، وزاد من الانسجام بينها.

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم

أولاً : الكتب :

١. الإتقان في علوم القرآن ، تأليف / الحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية .

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٣. أساليب النفي في القرآن الكريم ، د/ أحمد ماهر البقري ، دار المعارف ، ١٩٨٤م .

٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، دار مصر للطباعة .

٥. إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين درويش ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٣ ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .

٦. البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث .

٧. تأملات في سورة آل عمران ، د/ حسن محمد باجودة ، دار البلاد للطباعة والنشر ، جدة .

٨. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري ، تقديم وتحقيق د/ حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٢٠١٤م .

٩. التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر ، مطبعة السماح ، ٢٠١١م .

١٠. التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ، سامي وديع عبد الفتاح ، دار الوضاح ، الأردن ، عمان .

١١. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل ، وأسرار التأويل ، تحقيق/ محمد صبحي بن حسن ، د/ محمود أحمد الأطرش ، دار الرشيد ، ط١ ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م .

١٢. تفسير التحرير والتنوير ، للعلامة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م .

١٣. التفسير الكبير ، تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ العلامة أبي سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ، ط١، ٢٠٠٨م .

١٤. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٥. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، بإشراف ا.د/ مصطفى مسلم ، جامعة الشارقة ، ط١ ، ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م .

١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ .٢٠٠٢م.
١٧. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الرماني ، والخطابي ، وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد خلف الله ، د/محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط٣ .
١٨. الجامع لأحكام القرآن الكريم ، أبو عبد الله محمد أحمد القرطبي ، المحقق هشام سمير البخاري ، الناشر دار عالم الكتب ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٣م .
١٩. دراسات فنية في القرآن الكريم ، ، د/ أحمد ياسوف ، دار المكتبي للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١، ٢٠٠٦م .
٢٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثاني ، للعلامة الآلوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢١. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨١م.
٢٢. ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم ، التركيب والرسم والإيقاع ، د/ عمر عبد الهادي عتيق ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م .
٢٣. الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ، دار عمار ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
٢٤. الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .
٢٥. فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية ، د/ سيد خضر ، مكتبة الآداب ، ط٢ ، ٢٠٠٩م .
٢٦. فواصل الآيات القرآنية ، د/ كمال الدين عبد الغني المرسى ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ط١ ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
٢٧. في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٤م .
٢٨. قراءات أسلوبية في الشعر الحديث ، د/ محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .
٢٩. قراءة في الأدب القديم ، د/ محمد أبو موسى ، ط٢ ، ١٩٩٨م .
٣٠. كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني ، المكتبة الأزهرية ، ١٣٣٠هـ .
٣١. لسان العرب ، دار المعارف ، بدون تاريخ .
٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي ، دار ابن حزم .
٣٣. معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .
٣٤. معاني النحو ، د/ فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، الأردن ، ط٥ ، ٢٠١١م .

٣٥. معترك الأقران في إعجاز القرآن ، لأبي الفضل السيوطي ، ضبطه وصححه ، وكتب فهارسه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .
٣٦. المعجم المفصل في النحو العربي ، د/ عزيزة بابستي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .
٣٧. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.
٣٨. مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .
٣٩. مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق.
٤٠. مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتاب العربي .
٤١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة .
٤٢. النص والخطاب ، قراءة في علوم القرآن ، د/ محمد عبد الباسط عيد ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط١ ، ٢٠١٥م .
٤٣. الواو ومواقعها في النظم القرآني ، د/ محمد الأمين الخضري ، مكتبة وهبة ، ط١ ، ٢٠١٥م .

ثانيًا : الرسائل العلمية :

١. التقييد بالنفي في القرآن الكريم ، ياسر بن محمد بابطين ، رسالة ماجستير في البلاغة والنقد كلية اللغة العربية جامعة أم القرى ١٤٢٥هـ .
٢. الدلالة الصوتية للفاصلة القرآنية ، رسالة دكتوراه للباحثة فطيمة بورحلة ، كلية الآداب واللغات والفنون ، الجزائر ، السنة الجامعية ٢٠١٦ . ٢٠١٧م .
٣. " لا " في القرآن الكريم ، دراسة نحوية دلالية ، نعيم صالح سعيد نعيرات ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٧م .
٤. المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها ، دراسة تطبيقية في سور جزء عم ، إعداد الطالب / عصام أسعد أحمد ، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية، غزة ، العام الجامعي ١٤٣٢هـ . ٢٠١٢م .

ثالثًا : المجلات :

١. مجلة أوراق ثقافية ، مجلة نصف فصلية محكمة تعنى بقضايا الثقافة والأدب ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، تشرين الثاني ٢٠١٩م ، بيروت ، لبنان .
٢. مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، عدد ٣١ ، ١٤٣٣هـ . ٢٠١٢م .
٣. مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٣٥٢ ، السنة الحادية والثلاثون .

رابعًا : الشبكة الدولية للمعلومات :

www . google . com

فهـرس الموضـوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمـــة .	٢١١
التمهيـد : ضبط مفهوم العنوان	٢١٣
المطلب الأول : ضبط مفهوم التناسب .	٢١٣
المطلب الثاني : ضبط مفهوم الفاصلة .	٢١٥
المطلب الثالث: ضبط المقصود بنفي الظلم بـ "لا " عن الله عز وجل في الفاصلة القرآنية .	٢١٨
المبحث الأول : الفاصلة المطلقة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل.	٢٢٣
الموضع الأول : سورة البقرة الآية (٢٧٢) .	٢٢٤
الموضع الثاني : سورة البقرة الآية (٢٨١) .	٢٢٦
الموضع الثالث : سورة آل عمران الآية رقم (٢٥) .	٢٢٨
الموضع الرابع : سورة آل عمران الآية رقم (١٦١) .	٢٣١
الموضع الخامس : سورة الأنعام الآية رقم (١٦٠).	٢٣٣
الموضع السادس : سورة الأنفال الآية رقم (٦٠) .	٢٣٥
الموضع السابع : سورة يونس الآية رقم (٤٧).	٢٣٧
الموضع الثامن : سورة يونس الآية رقم (٥٤).	١٣٩
الموضع التاسع : سورة النحل الآية رقم (١١١).	٢٤٠
الموضع العاشر : سورة المؤمنون الآية رقم (٦٢) .	٢٤٢
الموضع الحادي عشر : سورة الزمر الآية رقم (٦٩) .	٢٤٤
الموضع الثاني عشر : سورة الجاثية الآية رقم (٢٢) .	٢٤٥
الموضع الثالث عشر : سورة الأحقاف الآية رقم (١٩) .	٢٤٧
المبحث الثاني : الفاصلة المقيدة لنفي الظلم بـ "لا" عن الله عز وجل.	٢٤٨
الموضع الأول : سورة النساء الآية رقم (٤٩) .	٢٤٩
الموضع الثاني : سورة النساء الآية رقم (٧٧) .	٢٥١
الموضع الثالث : سورة النساء الآية رقم (١٢٤) .	٢٥٤
الموضع الرابع : سورة الإسراء الآية رقم (٧١).	٢٥٥
الموضع الخامس : سورة الكهف الآية رقم (٤٩) .	**٢٥٨**
الموضع السادس : سورة مريم الآية رقم (٦٠) .	٢٦٠
الموضع السابع : سورة طه الآية رقم (١١٢) .	٢٦٢
الخاتمـــة .	٢٦٤
فهرس المصادر والمراجع .	٢٦٥
فهرس الموضوعـــات .	